المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب والسنة .

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٥٤

بنو النضير
من خلال سورة الحشر

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
٢١٥١ ل
١٥٤

اعداد:
الطالب:
سعيد عمر سالم باقازي.

اشراف:
الدكتور:
العجمى دمنهوري خليفة.

عام ١٣٩٩ — ٩٨ هـ
١٩٧٩ — ٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

((شكر وتقدير))

أحمد الله الذى وفقنى لاتمام هذا البحث على النحو الذى أريده ، وأسأله التوفيق والسداد فى القول والعمل ..... وبعد

فاننى أقدم خالص الشكر وعظيم التقدير الى فضيلة المشرف على هذه الرسالة سماحة الدكتور : العجمى دمنهورى خليفة ، لما أولانى من العناية والتوجيه مدة اشرافه على هذه الرسالة التى بلغت مايقارب السنتين ، فقد كان ينير لى الطريق ويذلل العقبات ، حتى جاءت الرسالة بحمد الله كأحسن مايجيده طالب مبتدئ . فجزاه الله عنى خير الجزاء وبارك له فى عمره وعلمه ونفع به طلاب العلم .

ثم اننى أقدم خالص شكرى الى القائمين على ادارة جامعة الملك عبد العزيز وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية وقسم الدراسات العليا الشرعية واخص منهم بالذكر سعادة عميد كلية الشريعة الدكتور محمد بن سعد الرشيد لما يولى طلبة العلم من العناية والتشجيع جزاه الله خيرا ووفقه لما فيه رضاه . والى جميع أساتذتى فى قسم الدراسات العليا الشرعية خالص شكرى وعظيم تقديرى والى جميع من مد لى يد العون فى الجامعة وخارجها وعلى رأسهم القائمون على مكتبة جامعة الملك عبد العزيز المركزية بمكة المكرمة وقسم المخطوطات ، والقائمون على شؤون الطلاب واخص منهم العميد بالنيابة الدكتور / عبد الله على الصنيع والعميد السابق سعادة الدكتور محمد العروسى الاستاذ بالدراسات العليا حاليا .

والى جميع هؤلاء أقدم خالص شكرى وعظيم تقديرى . وأسأل الله ان يجزيهم خير الجزاء وأحسنه ، انه ولى ذلك والقادر عليه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

فهـــرس المحتويـــــات

		صفحة
الخطبـــة :	الباعث على اختيار الموضوع وخطة البحث	١
مقدمـــة :	اليهود في المدينة (متى دخلوا واين سكنوا)؟	٥
تمهيد :	مناسبة السورة لما قبلها	١١
	اسماء السورة /	١٢
	اسباب نزول السورة	١٣
الفصل الاول :	تفسير السورة	١٨
	معنى التسبيح لغة واصطلاحا	١٨
	" ما " واستعمالاتها	٢٢
	هو الذى اخرج الذين كفروا	٢٣
	معنى الحشـــر	٢٥
	بيان شدة تمكن اليهود في حصونهم	٢٦
	انتقام الله ممن خالف امره	٢٨
	اثر الرعب في هزيمة الجيوش	٣٠
	الاعتبار بالاخرين	٣٢
	بيان ان ما اصاب بنى النضير في الدنيا لا يعفيهم من عذاب الاخرة	٣٥
	مشاقة الرسول مشاقة لله توجب العقوبة	٣٨
	معنى " لينة " في لغة العرب وسبب نزول الاية: " ما قطعتم من لينة "	٣٩

جواز افساد اموال الاعداء ٤٥

الفيء معناه في اللغة وعند الفقهاء ٤٦

معنى الايجاف والخيل والركاب ٤٧

تسليط الله رسله على من يشاء من الاعداء ٤٨

قدرة الله لا حد لها ٤٩

الرسل يتصرفون بامر الله ٥٠

اموال بني النضير كانت فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتصرف فيها بامر الله ٥٢

حرص القران على توزيع الاموال بين الناس بعدم قصر الاموال في بعض طائفة ٥٥

وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع ما امر به ونهى عنه ٥٦

اقرار الايات بما فعله الرسول من توزيع الفيء على المهاجرين ٥٩

مدح المهاجرين والثناء عليهم ٦٠

مدح الانصار والثناء عليهم بما هم اهله ٦٨

بيان الصفات المميزة للانصار ٦٨

الحديث عن التابعين وما كان من شانهم ٧٢

دعاء التابعين لمن سن لهم طريق الخير ٧٣

الموء من لا ينبغي ان يكون في قلبه غل على موء من ٧٤

بيان ما في قوله : " ربنا انك رؤوف رحيم " ووجوب محبة الصحابة ٧٥

الحديث عن المنافقين	٧٨
المنافقون يحرضون الكفار على المؤمنين	٧٩
تكذيب الله المنافقين في دعواهم	٨١
المنافقون يخشون المؤمنين اكثر من خشيتهم لله	٨٣
المنافقون لا يفقهون ومعنى "الفقه"	٨٣
بنو النضير لا يقاتلون الا من وراء الحصون	٨٤
اختلاف الكفار وتنازعهم في الرأى رغم اظهارهم الاتفاق	٨٦
اهمية العقل في جمع الكلمة	٨٦
تذكير المخاطبين بقصة بني قينقاع	٨٧
العبرة في قصة بني قينقاع	٨٨
مثل اخر للمنافقين	٨٩
الشيطان يزين للناس الكفر	٨٩
الشيطان يتبرأ من الكافر بعد كفره مدعيا انه يخاف الله	٩٠
جزاء الظالمين الخلود في النار	٩١
الامر بتقوى الله	٩٢
تقوى الله جماع كل خير	٩٣
وجوب محاسبة النفس	٩٤
علم الله محيط ببواطن الامور وظواهرها	٩٤
تحذير المؤمنين من ترك اوامر الله	٩٥
النهي عن التشبه بالفاسقين	٩٦
الفرق كبير بين اهل الجنة واهل النار	٩٧
اهل الجنة هم الذين ظفروا بمطلوبهم ونالوا امانيهم	٩٧

الحديث عن عظمة القرآن	٩٨
قلب المؤمن من الغافل اقسى من الجبل	٩٩
حض المؤمنين على التفكير في كتاب الله	١٠٠
بيان ان المنتفع بهدى القرآن هم العقلاء المتفكرون فيه	١٠١
الحديث عن صفات الله	١٠١
الامر بتوحيد الله وافراده بالعبادة	١٠٢
دليل على تفرد الله بالالوهية	١٠٣
معنى " الرحمن الرحيم "	١٠٤
= " الملك "	١٠٥
= " القدوس "	١٠٦
= " السلام "	١٠٧
= " المؤمن "	١٠٨
= " المهيمن "	١١٠
= " العزيز "	١١١
= " الجبار والمتكبر "	١١٢
= " الخالق — البارئ "	١١٤
= " المصور "	١١٦
اثبات الاسماء الحسنى لله	١١٧
بيان ان ما في السموات وما في الارض ينزهه سبحانه عما لا يليق به	١٦٨
ختم السورة بما ابتدئت به	١١٨

الفصل الثاني : غزوة بني النضير ١٢١

١ — موقعها ١٢٢

٢ — اسبابها ١٢٣

٣ — سير الحوادث ١٢٨

٤ — الغنائم وما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ١٣٢

٥ — من نتائج المعركة ١٣٤

العبر والعظات من غزوة بني النضير ١٣٦

اولا : ما حدث فيها من المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ١٣٧

تعريف المعجزة وبيان شروطها ١٣٧

وجوب الايمان بالمعجزات الثابتة ١٣٩

التحذير من الافراط في اثبات معجزات للرسول صلى الله عليه وسلم ١٤٠

ثانيا : الفيء وما فيه من الاحكام الفقهية ١٤١

تعريف الفيء في اصطلاح الفقهاء ١٤١

قسمة الغنائم ١٤١

هل تقسم الارض المفتوحة عنوة واراء الفقهاء في ذلك ؟ ١٤٢

المانعون وادلتهم ١٤٣

المجيزون وادلتهم ١٤٤

القول المختار ١٤٥

ثالثا : قطع نخيل بني النضير وما فيه من الدلالات ١٥٠

التنكيل بالاعداء بقطع النخل ونحوه ١٥١

اراء الفقهاء في قطع الاشجار ١٥٢

رابعا : اجلاء بني النضير وما فيه من العبر والعظات ١٥٤

خامسا : ما فعله بنو النضير قبل خروجهم من المدينة ١٥٦

نفسية اليهود وما تنطوى عليه ١٥٦

الفصل الثالث: بنو النضير من خلال السورة ١٥٧

كيف تحدثت السورة عن بنى النضير ١٥٨

اثر التربية في حياة الانسان ١٦٨

الشبه الواضح بين اليهود والمنافقين ١٧٣

منهج القران الكريم في تعليم المؤمنين وتربيتهم على مواجهة مشاكل المجتمع ١٧٥

الخاتمة: وتشتمل على اهم نتائج البحث ١٧٦/

قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كتابة هذه الرسالة ١٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده .

أحمده سبحانه على نعمه الظاهرة والباطنة وأشكره وأستعينه وأستهديه وأستغفره وأتوب اليه .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، نصر نبيه حين خذله قومه وتنكر له أهله فعصمه من كيد الكافرين وأنجز له وعده بقوله : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الذى أرسله رحمة للعالمين ، فاخرج الناس من الظلمات الى النور وهداهم الى صراطه مستقيم وحبله القويم الذى من استمسك به عز وانتصر ومن تنكر له ذل وخسر .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى أيدته بنصرك وانزلت عليه جنودك فحميته من مؤامرات اليهود والمنافقين ونصرته على الكفرة والملحدين واخترته خاتما للانبياء والمرسلين . وارض اللهم عن آله واصحابه اجمعين فقد بينوا للناس سنة تتبع وطريقة يسيرون عليها ومنهجا يتبعونه فكانوا مصابيح نور تضىء لمن بعدهم وتستضىء بنور الله الذى اوحاه الى نبيه .. اما بعد :

فقد كثر الحديث عن اليهود ومكايدهم فى مجتمعنا المعاصر وتنازع الناس فيهم فمن مؤيد يحبهم وينصرهم ويمدهم بالمال والسلاح ويدافع عنهم فى المؤتمرات والاجتماعات ومن معاد يعاديهم بالخطب والمقالات على صفحات الجرائد وفى الندوات يبين قبائحهم وماهم عليه من غدر وخيانة .

أما اليهود فقد عاثوا فى الارض فسادا ودنسوا المسجد الاقصى وقتلوا الابرياء والضعفاء ونهبوا الاموال والاراضى ازاء هذا وذاك رايت ان يكون الموضوع الذى اختاره للحصول على درجة الماجستير موضوع الساعة * موضوع اليهود ابين بعض ماكان منهم زمن النبوة وكيف عاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الكرام واجيا ان يكون فى ذلك عبرة وعظة

لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فيكون فى ذلك دعوة للمسلمين الى جهـــاد أعداء الله ونصرة دين الله وعدم الاغترار باليد الممدودة التى تظهر السلام وتبطن الغدر والخيانة وأحببت ان يكون الموضوع ذا صلة بكتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطـــل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فاخترت موضـــوع : " بنى النضير من خلال سورة الحشـــر "

وسلكت فى البحث الخطوات العلمية التى تجعله مقبولا عند العلماء . وقسمـــت البحث الى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن يهود المدينة وبيّنت تاريخ دخولهم الى المدينـــة ومساكنهم فيها .

وأما التمهيد : فذكرت فيه أمورا ثلاثة :

(١) مناسبة السورة لما قبلها

(٢) اسماء الســـــورة

(٣) سبب نزول السورة وما ورد فى ذلك من الاحاديث والآثار .

وأما الفصل الاول : فقد فسرت فيه سورة الحشر معتمدا فى ذلك على كتـــب التفسير المعتبرة وكتب اللغة وغيرها مما هو ضرورى لفهم القرآن واذا كان هناك خـــلاف بينت الراجح بدليله معتمدا الاسس العلمية فى ذلك . وقد استفدت كثيرا فى تفسيـــر السورة من كتاب (نظم الدرر فى تناسب الآى والسور) للمحدث المفسر العلامـــة ابراهيم بن عمر بن حسن ابو الحسن المشهور بالبقاعى من علماء القرن التاسع الهجرى . وغيره من كتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة .

وأما الفصل الثانى : فقد تحدثت فيه عما يلى :

غزوة بنى النضير ـ موقعها ـ اسبابها ـ سير الحوادث ـ الغنائـــم وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بها . ـ من اهداف المعركة ـ العبر والعظـات من غزوة بنى النضير .

أولا : ماحدث فيها من المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم

تعريف المعجزة وبيان شروطها

وجوب الايمان بالمعجزات الثابتة

التحذير من الافراط فى اثبات معجزات للرسول صلى الله عليه وسلم •

ثانيا : الفىء وما فيه من الاحكام الفقهية

تعريف الفىء فى اصطلاح الفقهاء

هل تقسم الارض المفتوحة عنوة وآراء الفقهاء فى ذلك ؟

المجيزون وادلتهم

المانعون وادلتهم

ورجحت القول المختار بدليله •

ثالثا : قطع نخيل بنى النضير وما فيه من الدلالات

التنكيل بالاعداء بقطع النخل ونحوه

رابعا : اجلاء بنى النضير وما فيه من العبر والعظات •

خامسا : ما فعله بنو النضير قبل خروجهم من المدينة

نفسية اليهود وما تنطوى عليه •

وأما الفصل الثالث : فقد تحدثت عن :

بنو النضير من خلال السورة

كيف تحدثت السورة عن بنى النضير

واثر التربية فى حياة الانسان

الشبه الواضح بين اليهود والمنافقين

وقد واجهتنى بعض العقبات التى تواجه الطالب المبتـــــدىء استطعت التغلب عليها بحسن توجيه المشرف على هذه الرسالة الـذى لم يبخل على بوقت او نصيحة .

وبعـــد :

لـ فهذا جهدى الذى ارجو أن أكون قد وفقت فيه . فان كـانـت الاخرى فالخير اردت وبذلت جهدى قدر طاقتى . وأسأل اللـــــــه ان يكتب لى أجر المجتهد . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمـــــد وآله وصحبه ومن سار على نهجهم الى يوم الدين . ،،

مقدمة : اليهود فى المدينة ، متى دخلوا واين سكنوا . ؟

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ولبث بها اربعين عاما ، كريم الاخلاق حميد السيرة يحبه اهلها ويجلونه ويلقبونه بالامين . ثم اختاره الله ليكون خاتم المرسلين ، وامره بانذار عشيرته الاقربين فصعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يابنى فهر .. يابنى عدى .. لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ماهو . فجاء ابولهب وقريش فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى . ؟ قالوا نعم . ماجربنا عليك الا صدقا . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال ابولهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ، فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب .

ويتولى الوحى الالهى اجابة ابى لهب متوعدا : (تبت يدا ابى لهب وتب) ويبين الغرض الذى من اجله جمعهم : بانزال سورة الفاتحة التى هى منشور الدعوة الاول .

ويتتابع الوحى على قلب النبى بعد فترة قصيرة : يبين الحق واضحا ويبطل ماكان

---

(١) اخرجه البخارى فى كتاب التفسير سورة الشعراء وسورة المسد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبى صلى الله عليه وسلم الصفا .. الحديث واللفظ للبخارى . واخرجه الترمذى فى كتاب التفسير ، سورة المسد . واخرجه احمد بن حنبل فى مسنده ٥ / ٦٠

يعتقده أهل مكة فى الاصنام وتبدأ المنازعات بين انصار الحق ودعاة الباطل محاولين فتنة المؤمنين عن دينهم وردهم الى الباطل رغم اتضاح الحق لهم فقد عرفوا رسول الله وخبروه ولكنها المصالح والاهواء تعمى القلوب وتصم الاذان .

وقد بلغ بهم الحقد أن تعاقدوا على مقاطعة النبى صلى الله عليه وسلم وكل من تصدى لحمياته فاضطروهم الى اللجوء الى شعب ابى طالب بعد أن كتبوا بذلك كتابا أودعوه فى جوف الكعبة .

ودخل بنو هاشم وبنو المطلب — مسلمهم وكافرهم — وبقوا فيه ثلاث سنين ثم نقضت الصحيفة الظالمة فخرج المسلمون منتصرين ولكن ما ان خرجوا من شعب ابى طالب حتى توفيت السيدة خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها وتوفى ابوطالب متأثرا ببقائه فى الشعب واضحى النبى الكريم وحيدا فاشتد اذى المشركين عليه وعلى اتباعه فخرج الى الطائف ولكن لم يجد فيه من ينصره فعاد الى مكة واخذ يعرض الاسلام على القبائل التى كانت تفد اليها لحج البيت والتقى برهط من الاوس والخزرج فدعاهم الى الاسلام وعرض عليهم القرآن فامنوا به وواعدوه العقبة من منى فى العام القادم ثم بايعوه بعدها بيعتين كانت الاخيرة منهما هى السبب فى انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة لتصبح دار اسلام ويصبح المسلمون آمنين يعبدون الله ولا يخافون احدا .

وقد عرفت هذه البلدة فيما بعد بالمدينة

من آثار غزوة بختنصـــــر :

وقد اتفق المؤرخون على أن اليهود دخلوا المدينة قبل الاســـــلام بمدة قرون وانهم عنصر غريب دخيل نازح اليها من بعيد .

ويرجع بعض المؤرخين اسباب اتصال اليهود بالمدينة الى تلك الغـــزوة العارمة العاتية التى قام بها بختنصر المجوسى على فلسطين وبلاد الشـــــام وما اوقعه فى يهود من ذل القتل والتشريد والابادة الجماعية ، مما جعـــــل يهود هائمين على وجوههم فرارا من الموت ففروا الى جزيرة العرب لانهـــــا صحراء ووقاء طبيعى لهم من ابادة الرومان .

ومما دعا اليهود الى اختيار المدينة ماروى فى كتبهم عن اخبار نبى آخـــر الزمن حيث قد انطبع فى نفوسهم مما قرأوا فى صحفهم وتوراتهم ونصـــت عليه كتبهم ان نبى آخر الزمن يهاجر من الحرم الى بلد ذى نخل بين حرتيـــن وهذا مادعا بنى قينقاع ان يسكنوا فى عالية المدينة ، لاسيما وانهم قد نجـــوا

من مخالب الرومان واحتموا بالصحراء كوقاء طبيعى يحول بينهم وبين اعدائهم الرومان ولاسيما انهم قد أدركوا الأمن والطمأنينة . وهكذا بدأوا يتوزعون فى رحلتهم هذه فنزل بعضهم تيماء وبعضهم خيبر وهى حميرية عربية ، كما نزلوا فدك وتعرف اليوم بالحائط والحويط .

وكلهاذات نخل بين حرتين ينطبق عليها الوصف المذكور فى التوراة عن مهاجر نبى آخر الزمن .

ومن هؤلاء اليهود يهود بنى قريظة وبنى النضير وبنى بهدل

وهذه الفترة تقع مابين خراب هيكلهم فى عام ٧٠ م و ١٣٢ م كما يقول المؤرخون .

واما متى وقد يهود على يثرب وكيف فأمر لا يمكن البت فيه برأى قاطع فان مالدينا من المعلومات هى مجموعة من روايات نقلها اصحاب الاخبار وسردتها المراجع العربية . ولكن الرأى السابق يؤيده مؤرخو اليهود انفسهم ومنهم الكاتب اليهودى اسرائيل ولفنسون فى كتابه (يهود الجزيرة العربية) حيث قال :

" ان اليهود نزلوا على البلاد ضيوفا مضطرين فارين من مخالب النسر الرومانى " (١)

---

(١) يهود الجزيرة العربية ص٦٧

ويؤيد : ماذكرته لنا صحف العهد القديم من أخبار بنى اسرائيل ان بلاد طور سيناء وشمال الجزيرة العربية بوجه عام كانت ملجأ يقصد اليه كثير من بنى اسرائيل الذين كانوا يفرون من وجه الملوك والحكام الظالمين . (١)

ثم فى عهد الملك بختنصر فانه حين غزا اورشليم قصدت جموع من اليهود ارض الجزيرة (٢) . ثم استمرت هجرة اليهود الى الجزيرة العربية بعد ذلك حسب زيادة عدد السكان فى فلسطين وحسب الاضطهادات التى كانت تنقض عليهم من المغيرين فيضطرون الى الالتجاء اليها للامان الذى يصادفونه هناك . (٣)

ومما يؤيد ان اليهود طارئون على المدينة ماذكره المؤرخون من انه عند ما انهار سد مأرب ــ فتفرق اهل اليمن الذين كانوا يقيمون حوله فى افاق الارض فاختار منهم طائفة بلاد الشام واختار منهم طائفة مصر واختار منهم طائفة ــ هم الاوس والخزرج الذين ينتسبون الى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن ماء السماء ــ يثرب التى عرفت

---

(١) ملوك جـ ١ فصل ١٩

(٢) ارمياء ــ فصل ٤٠ اية ١١

(٣) اليهود ــ اسرائيل ولفنسون ــ

فيما بعد بالمدينة وسكنوا اعاليها واسافلتها • ولما نزل اليهود المدينة نزلوا مع الاوس والخزرج (١) فتحالفوا معهم خشية ان يتغلب عليهم الاوس والخزرج فيطردوهم من المدينة • اذ هم اصحاب البلاد الشرعيون ويديهم القوة المادية التي يستطيعون بها ان يدحروا يهود • فلما خافوهم حالفوهم وساكنوهم •

واستمر الامر على ذلك الى أن دخل الاوس والخزرج في الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة فكتب المعاهدات والاتفاقات بينه وبينهم وكان من حكمته انه صلى الله عليه وسلم عاهد اليهود متفرقين (٢) حتى اذا نكثت طائفة منهم استطاع ان يقضي عليهم وينتقم منهم •

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ص ١٧٩ وما بعدها

(٢) سيرة ابن هشام ١٣١/٢

وكتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي : محمد حميد الله ص ٤١

وقد ذكرت نصها كتب السنة والسيرة •

مناسبة السورة لما قبلها

تمهيد :

قال السيوطى رحمه الله :

" المناسبة فى اللغة : المشاكلة والمقاربة ومرجعها فى الايات ونحوها الى معنى رابط بينها عام او خاص ، عقلى او حسى ، او خيالى او غير ذلك ، من انواع العلاقات او التلازم الذى كالسبب والمسبب . وفائدته : جعل بعض اجزاء الكلام بعضها آخذ باعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التاليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الاجزاء " (١)

قال ابوحيارة فى تفسيره لهذه السورة :

هذه السورة مدنية ومناسبتها لما قبلها : انه لما ذكر حال المنافقين واليهود وتولى بعضهم بعضا ذكر ايضا ماحل باليهود من غضب الله تعالى عليهم وجلائهم وامكان الله تعالى ورسوله ، ممن حاد الله ورسوله ، ورام الغدر بالرسول ، واظهر العداوة بحلفهم مع قريش " (٢)

أقول : قد ختمت السورة التى قبلها بقوله عز وجل : (كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله لقوى عزيز) الاية .. فجاءت هذه السورة كدليل واقعى وبرهان حقيقى

---

(١) الاتقان فى علوم القران جـ ٢ ص ١٠٨ جـ ١ : مصطفى الحلبى . الثانية ١٣٧٠ هـ

(٢) البحر المحيط ٨/ ٢٤٠ .

على انه الغالب هو ورسله لا نقوى عزيز . والقوى هو القادر على حشر الناس وجمعهم واذلالهم . والعزيز : هو الغالب الحكيم الذى يتصرف بمراده فيحشرهم متى شاء وكيف شاء ، فبين فيها كيف غلب بنى النضير الذين شهد بقوتهم العدو والولى ممهدا لهذا البيان بأول الحشر اشارة الى أنه قادر على حشر الناس للحرب والجزاء يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . وبهذا تكون السورة التى نحن بصدد بحثها متصلة بما قبلها اتصالا وثيقا فهى كالبرهان على ماختمت به السورة التى قبلها . (١)

أسماء السورة :

سميت سورة الحشر وسورة بنى النضير ، روى البخارى : عن سعيد بن جبير قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : سورة بنى النضير . (٢)

وكانما كرهوا تسميتها بالحشر لئلا يظن : انه الحشر الحقيقى ، وهو يوم القيامة . ذكره ابن حجر .

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الاى والسور للبقاعى لوح ٣٨٥ (بتصرف)
شرائح مصورة (ميكروفيلم) فى مركز البحث العلمى بجامعة الملك عبد العزيز

(٢) اخرجه البخارى فى كتاب التفسير ـ سورة الحشر ـ باب الجلاء من ارض الى ارض .

سبب النـــزول :

روى ابوداود بسنده : عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك انه قال :

ان كفار قريش كتبوا الى ابن ابى ومن كان يعبد معه الاوثان من الاوس والخـزرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر : انكم اويتم صاحبنـا وانا نقسم بالله لنقاتلنه او لتخرجنه ، او لنسيرن اليكم باجمعنا حتى نقتـــل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم . فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبى ومن كان معه مـــن عبدة الاوثان اجتمعوا لقتال النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ ذلك النبـــى صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال : " لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ماكانـــت تكيدكم باكثر مما تريدون ان تكيدوا به انفسكم ، يريدون ان يقاتلوا ابناءكم واخوانكم " فلما سمعوا ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم ـ تفرقوا . فبلغ ذلك كفار قريش فكتبـت كفار قريش بعد وقعة بدر الى اليهود : انكم اهل الحلقة والحصون وانكم لتقاتلـــن صاحبنا او لتفعلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شىء وهـــى الخلاخيل (١) ، فلما بلغ كتابهم النبى صلى الله عليه وسلم اجمعت (٢) بنو النضير بالغدر فارسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم : اخرج الينا فى ثلاثين رجلا من اصحابك

---

(١) خدم جمع خدمة ـ بفتحتين ـ وهى الخلخال والمعنى نسبيهن ونجامعهن .
(٢) اى عزمت وفى بعض النسخ ايقنت .

ليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقى بمكان النصف[1] وليسمعوا منك فان صدقـــوك وآمنوا بك امنا بك • نقص خبرهم •

فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم فقـــال لهم : انكم والله لاتؤمنون عندى الا بعهد تعاهدونى عليه • فابوا ان يعطـــوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بنى قريظة بالكتائب وترك بنى النضير ودعاهم الى ان يعاهدوه فعاهدوه ، فانصرف عنهم وغدا الى بنى النضير بالكتائـــب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء • فجلت بنى النضير واحتملوا ما اقلت الابل من امتعتهم وابواب بيوتهم وخشبها وكان نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصـــة اعطاه اياها وخصه بها فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه مـــن خيل ولاركاب) يقول بغير قتال : فاعطى النبى صلى الله عليه وسلم اكثرها للمهاجريـن قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وكانا ذوى حاجة[2] ولم يقسم من الانصـــار غيرهما • وبقى منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فى ايدى بنى فاطمة • • آ • هـ •[3] وقد ذكره ابن كثير فى تفسيره ولم يعقب عليه بشىء •[4]

---

(١) اى الوسط

(٢) رواه ابوداود فى كتاب الامارة باب فى خبر بنى النضير

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣١ ونجد شرحه فى عون المعبود ٨/ ٢٣٤ وبذل المجهود ١٣/ ٣٢٧

(٤) فقر

وكذا المنذرى وسكت عليه .

وهذا يدل على ان الحديث حسن صالح للاحتجاج به . ومهما يكن من شيء فيكاد يجمع المفسرون : على ان سورة الحشر قد نزلت فى شان بنى النضير . وما كان من اخراجهم من المدينة . عقب خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضهم المعاهدة من طرف واحد .

ويدل عليه : ماورد فى السورة من قوله عز وجل : هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم امنعتهم حصونهم من الله .. الاية .

مما يؤكد ذلك ويقويه ماثبت فى السيرة النبوية من اخبار : غزوة بنى النضير على ماسنبينه فى الفصل الثانى ان شاء الله .

وقال الواحدى : (١) بسم الله : (قوله تعالى : (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب)الاية .قال المفسرون : نزلت هذه الاية فى بنى النضير وذلك : ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، صالحه بنو النضير على ان لايقاتلوه

---

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٧٨ جـ ١ : دار الكتب العلمية ببيروت .

ولا يقاتلوا معه ، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير : والله انه النبي الذي وجدنا صفته في التوراة لاترد له راية . فلما غزا احدا وهزم المسلمون نقضوا العهد واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صالحهم عن الجلاء من المدينة .

وروى بسنده عن ابن كعب ابن مالك عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن كفار قريش كتبوا بعد وقعة بدر الى اليهود : انكم اهل الحلقة والحصون ، وانكم لتقاتلن صاحبنا او لتفعلن كذا . ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم وبين الخلاخل شيء فلما بلغ كتابهم اليهود اجمعت بنو النضير الغدر وارسلوا الى النبي (صلى الله عليه وسلم) : ان اخرج الينا في ثلاثين من اصحابك وليخرج معنا ثلاثون حبرا من اليهود حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك ليسمعوا منك فان صدقوك وامنوا بك امنا بك كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا برزوا من الاوض قال بعض اليهود لبعض . كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا

من اصحابه كلهم يحب ان يموت قبلـــه ؟ فارسلوا كيف نتفق ونحـــــن ستون رجلا • اخرج فى ثلاثة من اصحابك ونخرج اليك ثلاثة من علمائنـــــا ان امنوا بك امنا بك كلنا • وصدقناك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فـــى ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر واراد وا الفتـــك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امراة ناصحة من بنى النضير الـــى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته خبر ما اراد بنو النضير من الغـــدر برسول الله صلى الله عليه وسلم : واقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبـــى صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم ، فوجع النبى صلى الله وسلم • فلما كان مـــن الغد غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء على ان لهـــم ما اقلت الابل الا الحلقة وهى السلاح • وكانوا يخربون بيوتهم فياخذون ما وافقهـــم من خشبها • فانزل الله تعالى : " سبح لله مافى السموات ومافى الارض ـ حتى بلـــغ ـ والله على كل شىء قدير • " آـــه •

الفصل الاول

(تفسير السورة)

(سبح لله مافى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم)

اوقع التنزيه الاعظم عن كل شائبة نقص (لله) الذى احاط بجميع صفات الكمال .

معنى التسبيح فى اللغة :

قال فى اللسان : التسبيح : التنزيه . وسبحان الله معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد . وقيل : تنزيه الله تعالى عن كل مالا ينبغى له ان يوصف . وسبحان فى اللغة تنزيه الله عز وجل عن السوء . وجماع معناه بعده تبارك وتعالى عن ان يكون له مثل او شريك ، اوند اوضد . وقيل : قوله : سبحانك ـ اى أنزهك يارب عن كل سوء وابرئك .

وسبح الرجل : قال سبحان الله ، وفى التنزيل : كل قد علم صلاته وتسبيحه (١)

قال رؤية : لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تالها (٢)

وتقول العرب : سبحان من كذا ، اى ما ابعده . قال الاعشى :

اقول لما جاء فى فخره سبحان من علقمة الفاخر (٣)

وهذا الفعل " سبح " قد يتعدى بنفسه كقوله تعالى " ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) ـ الدهراية ٦ ـ وقوله تعالى : (وسبحوه بكرة واصيلا) الاحزاب اية ٤٢ .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢/٤٧١ دار صادر دار بيروت مختار الصحاح ٢٨٢ ، مفردات الراغب ٣٢٤ .

(٢) مقاييس اللغة ٣/١٢٥ اساس البلاغة للزمخشرى ٢٨٢ . ومعنى البيت انه اراد مدح النساء الغانيات (والمده) كلمة مدح . والبيت فى ديوانه ص ١٦٥ مجموع اشعار العرب (ديوان رؤية بن العجاج) .

(٣) ديوان الاعشى ١٠٦ واللسان ماد قسبح . انه اراد التعجب من فخره بالتسبيح كما يقال سبحان الله او اراد التبرؤ من علقمة .

وقد يتعدى باللام كقوله هنا : ـ سبح لله ـ وعلى هذا فسبحه وسبح له لغتان كنصحه ونصح له وشكره وشكر له .

وقيل ان المعنى : سبح لله مافى السموات وما فى الارض : اى احدث التسبيح لاجل الله اى ابتغاء وجهه تعالى (١) . وقد عبر عنه الامام الكبير ابوعبد الله محمد بن احمد القرطبى صاحب التفسير المشهور بعبارة هى : ان التسبيح تمجيد الله وتنزيهه عن السوء . وذكر قول ابن عباس رضى الله عنهما : فى معنى سبح لله صلى لله (مافى السموات) ممن خلق من الملائكة (وما فى الارض) من شىء فيه روح اولا روح فيه . (٢)

اما ابوالسعود فقد نص على تعريفه بقوله : " هو تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما " (٣)

وتتفق عبارات المفسرين فى تعريف التسبيح : بان جميع ماخلقه سواء كانوا فى السموات او فى الارض ينزهونه عن جميع مالا يليق به ويمجدونه بما هو اهله لانه صريح نص القران الكريم فى مواطن كثيرة . وقد حكى القران تمجيد الملائكة بقوله (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ـ البقرة ٣٠ ـ وقوله (يسبحون بحمد ربهم) ـ الزمر ٧٥ ـ

---

(١) الكشاف ٤/٦٠

(٢) القرطبى ٧/٦٤٠٥ جـ ١ كتاب الشعب

(٣) ارشاد العقل السليم جـ ٥/ ٢٧١ .

وتسبيح الرعد في قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده) ـ الرعد ١٣ ـ

وأصل المادة يدل معناها على الابعاد حسيا او معنويا • فمن المعنوى الابعاد عن السوء ، ومن الحسى : قولهم سبح اذا صار بعيدا • فالسباحة والتسبيح مشتركان في اصل المادة لانهما من مادة سبح • ومشتركان في اصل المعنى كذلك • فالسباحة في الماء ينجو بها صاحبها من الغرق • وكذلك المسبح لله المنزه له ينجو من الشرك ويحيا بالذكر والتمجيد لله تعالى • (١)

وقد جاءت مادة التسبيح بصيغة الماضى والمضارع والامر ، والمصدر ليدل على ان التسبيح قد فعله والتزمه كل من في " السموات والارض " فجاء بها هنا بصيغة الماضى ليدل على ان المخلوقات كلها قد فعلت والتزمت التسبيح والتمجيد لله " (٢)

وقال بعض اهل العلم : انما عبر في سورة الحشر بالماضى في قوله " سبح لله " وكذلك في سورة الحديد والصف ، وعبر في الجمعة والتغابن وغيرهما بقوله : يسبح بصيغة المضارع ليبين ان ذلك التسبيح هو شأن اهل السموات والارض ، وأنه طبيعتهم ودينهم ودأبهم باستمرار هو تمجيد الله وتنزيهه عما الحقه به

---

(١) اضواء البيان ٨/١٢

(٢) البحر المحيط عند تفسير اول سورة الحديد جـ ٨ •

المشركون او وصفوه به افتراء وافتياتا وافكا من صفات المخلوقين ، كالشـــــرك والصاحبة والولد ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . (١)

(لله) : اصل الفعل " سبح " ان يتعدى بنفسه تارة وباللام تـــارة اخرى ، والاصل فيه ان يتعدى بنفسه . فاللام فى قوله (لله) : لاتخلـــو اما أن تكون مثل اللام التى فى قولك نصحته ونصحت له . وقيل بل المعـــنى احدث التسبيح لاجل الله ابتغاء رضوانه توحيدا له وتنزيها كما ذكرنا سابقا (٢) ، فعلى القول تكون اللام للتعدية . وعلى القول الثانى اللام للتعليل وجعلهـــا للتعليل اولى لما فيه من تعظيم الله سبحانه والتذلل له .

وهذا التخريج والتوجيه الذى وجهه الامام الكبير ابوالقاسم الزمخشرى لمعـــنى اللام مما يقوى قول من قال : انه لايتعدى باللام بل يتعدى بنفسه ويؤيـــده النظر الصحيح لان المخلوقات تبقى بتسبيحها ارادة وجه الله وتوحيده ، وتجريده من الشريك والنقص مما هو محال على الله ويتأتى هذا مع اسلوب القرآن وبلاغتـــه باتيانه بالمعانى الفخمة الجزلة بالفاظ قليلة فكل كلمة بل وكل حرف فى القـــرآن له معنى .

ومما يؤيد ان الفعل يتعدى بنفسه مجيئه فى القرآن ، الذى انزل بلغة قريش التى هى افصح اللغات ، واعذبها واسلسها واطوعها للسان .

---

(١) الكشاف ٤/ ٦٠

(٢) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(مافى السموات وما فى الارض)

ولماكان المشركون قد عبد بعضهم الشمس وبعضهم القمر ، وبعضهم غيرهما من الكواكب المبثوثة فى السموات والملائكة ، بينما ان جميع مافى السموات ينزهه عما لايليق به . ثم اكد هذا المعنى بـ (ومافى الارض) من اشجار وحيوانات وانس وجن فقال (ومافى الارض) (١) .

وقد جاء اسناد تسبيح المخلوقات لله بلفظ " ما " وهى من صيغ العموم والاصل فيها أن تستعمل لغير العاقل وقد تستعمل للعاقل وقد عبر هنا بـ " ما " ليدل على ان غير العقلاء يسبحون فاحرى بالعقلاء ان يسبحوه .

وقد كرر الموصول هاهنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح عالم السموات وعالم الارض . (٢)

قال صاحب كتاب اضواء البيان : " ومما يلفت النظر ان التسبيح الذى فى معرض العموم كله فى القران مسند الى " ما " دون "من" الا فى موضع واحد وهو قوله تعالى : " تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن " ـ الاسراء ٤٤ ـ وهذا شاهد على شمول " ما " وعمومها المتقدم ذكره . (٣)

---

(١) نظم الدرر بتصرف .

(٢) روح المعانى ٢٨/ ٣٩

(٣) اضواء البيان ٨/ ١٣

ولما ثبت ان جميع مخلوقات الله فى السموات وفى الارض تنزهه عما لا يليق به ، بين أن عظمته لاتنتهى فقال : (وهو العزيز) : الذى يغلب كل شىء ولا يمتنع عليه شىء و (العزيز) (١) من عزز ، وهى تدل على القهر والغلبة وما ضاها هما من شدة وقوة وهو ماخوذ من المعازة وهى المغالبة . (الحكيم) (٢) الذى نفذ علمه فى الظواهر والبواطن واحاط بكل شىء واتقن ما اراد . فكل ماخلقه جعله على وحدانيته دليلا والى بيان ماله من العزة سبيلا . (٣) . كما قال الشاعر :

وفى كل شىء له ايـة .. تدل على انه واحد

وهو ماخوذ من الحكم ـ الضم ـ وهو المنع من الظلم وسميت حكمة الدابة ـ بفتح المهملة والكاف ـ لانها تمنع الفرس الممتنع فلا يغلبه شىء وهو من صفات الله تعالى واسمائه الحسنى ـ الغالب ـ الذى يحكم مايريد وينتقم ممن خالف امره وحاده ورسله وتولى غير المؤمنين فقال (٤) : (هو الذى) : اى وحده الذى اخرج الذين كفروا من غير ايجاف خيل ولا ركاب ابل . (اخرج) على وجه القهر والغلبة . والضمير يرجع اليه سبحانه وتعالى بعنوان العزة والحكمة كانه قيل : ذلك المنعوت بالعزة والحكمة (هو الذى اخرج) : ففيه اشعار بان فى الاخراج حكمة باهرة (٥) (الذين كفروا) : اى ستروا مافى كتبهم من الشواهد على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومافى فطرهم الاولى من ان اتباع الحق احق .

---

(١) لسان العرب ٥ / ٣٧٤ مادة "عزز" مقاييس اللغة ٤ / ٣٩ ، مفردات الراغب ٤٩٨
(٢) لسان العرب مادة حكم جـ ١٢ / ١٤٠ ، مقاييس اللغة ٢ / ٩١ ، مختار الصحاح ١٤٨ ، مفردات الراغب ١٨١
(٣) نظم الدرر بتصرف
(٤) المرجع السابق بتصرف
(٥) تفسير ابى السعود ٤ / ٢٩٩ .

وفى التعبير بـ " كفروا " اشعارهم بانهم الذين ازالوا بالتبديل او الاخفاء ما اطلعوا عليه فى التوراة (١)

وعامة المفسرين انها فى بنى النضير الا قولا للحسن انها فى بنى قريظة وهـــذا القول مردود بان بنى قريظة لم يجلوا ولم يخرجوا وانما حكم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بناء على طلبهم ورضوا بحكمه فقضى عليهم ان يقتل مقاتليهـــم وتسبى نساؤهم وذراريهم .

وبنوا النضير : هم اول من اجلى من اليهود من جزيرة العرب (٢)

ولما كان الوطن عديل الروح لانه للبدن كالبدن للروح فكان الخروج منه فى غايـــة العسر وفيه ذل عظيم يريد قهرهم به . فقال :

(من ديارهم) وصحت اضافتها اليهم لانهم بنوها عند ما نزلوا فيها وهى برية لاعمران (٣) فيها . (لاول الحشر) : اى لاجل اول او عند اول (الحشر) . وفى هذا تنبيـــه الى ان كل بلد حشروا اليه سيفتح فيزلزلون منه زلزلة اخرى . (٤)

---

(١) نظم الدرر بتصرف

(٢) روح المعانى ٢٨/٣٨

(٣) نفس المرجع ٢٨/٣٨

(٤) نظم الدرر بتصرف .

(والحشر) هو الجمع فى مكان والسوق منه الى غيره باكراه • وسمى اولا لانهم اول من اجلى من اليهود من جزيرة العرب كما ذكره ابن عباس وغيره • (١)

والحشر الثانى لهم من خيبر • وهذا الحشر يدل على الحشر الاعظم وفيه ينبه على قوله صلى الله عليه وسلم : بعثت انا والساعة كهاتين • (٢)

والحشر فى اللغة : الجمع • واخراج الجماعة عن مقرهم وازعاجهم علة الى الحرب ونحوها • قال فى اللسان : حشرهم ويحشرهم حشرا • جمعهم • ومنه يوم المحشر • والحشر جمع الناس يوم القيامة • والحشر حشر يوم القيامة ، والمحشر المجمع الذى يحشر اليه القوم • وكذلك اذا حشروا الى بلد او معسكر او نحوه والحشر هو الجلاء عن الاوطان (٣) • والمراد بالحشر : المعنى اللغوى الذى هو الجمع • والمعنى اخرجهم من ديارهم لاول جمع حشره الله عز وجل لقتالهم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن قد عزم على قتالهم • وهذا يؤكد ماقدمنا من وصف الله بالعزة (٤) •

وهو هنا متعلق باخرج : اى اخرجهم لاول الحشر اى فى وقت الحشر ، فاللام لام

---

(١) نظم الدرر بتصرف ، الفخر الرازى ٢٩ / ٢٧٩

(٢) الحديث اخرجه البخارى فى كتاب الرقات باب بعثت انا والساعة كهاتين ، ومسلم فى كتاب الفتن باب قرب الساعة • وابن ماجه فى كتاب الفتن ورواه احمد فى مسنده •

(٣) لسان العرب ٤ / ١٩٠ (حشر) ، مختار الصحاح ١٣٧ ، مقاييس اللغة ٢ / ٦٦
مفردات الراغب ١٧١

(٤) الالوسى ٢٨ / ٤٠

التوقيت ومآلها الى معنى ـ فى ـ الظرفية . ولذا قالوا هنا : فى اول الحشر لكنهم لم يقولوا انها بمعنى ـ فى ـ اشارة الى انها لتخرج عن اصل معناها وانها للاختصاص لان ما وقع فى وقت اختص به دون غيره . (١)

(ماظننتم ان يخرجوا) اى يوقعوا الخروج ذلك لانهم اقوياء اصحاب حصون فى بيوتهم وانتم ضعفاء . قد تألبت عليكم قوى الشر والبغى من كل جانب ، تريد ان تفتك بكم وتفتنكم لتردكم عن الحق الذى ابتعثتمون . وهم فى ارضهم وبين اخوانهم وانتم مهاجرون قد تنكر لكم اقرباؤكم . (٢)

والمعنى : ماظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا بهذا الذل والهوان وفى هذا تذكير للمسلمين بهذه النعمة وامتنان عليهم لان النعمة اذا جاءت من حيث لا يتوقع الانسان ولا يتصورها كان الفرح بها اتم . والامتنان اعظم . فاليهود لشدة باسهم ومنعتهم لم يكن احد من المسلمين يفكر فى خروجهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) فخابت ظنونهم فى جميع ذلك ، اراداهم وسلط عليهم المؤمنين على قلتهم وضعفهم .

---

(١) الالوسى ٢٨/٤٠ ، نظم الدرر بتصرف .
(٢) نظم الدرر (بتصرف) .

واذا أراد الله نصر عبد له ، استأسد أرنبه ، واذا اراد قهر عبد استنوق أسده (١) . ولما كانت الحصون تمنع من الوصول الى من بداخلها كانها حماية قوية وتورثه التكبر والغرور واعتقاد ان لا احد يمكن ان يصل اليه مهما كانت قوته فقد اظهر هذا الغرور بقوله (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) ـ فدل على قوة ظنهم وثباته بالجملة الاسمية فقال : (مانعتهم حصونهم) اى ثبت لها المنع ولهم الامتناع . وفى تقديم الخبر على المبتدأ دليل على شدة وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم . واسناد الجملة اليه : دليل على اعتقادهم فى انفسهم أنهم فى عز ومنعة ، لا مطمع لاحد معها فى مغازتهم ، ودل على ضعف عقولهم بان عبر عن قبله وباسمه الاعظم فقال (من الله) ، اى الملك الذى لاغير له وانتم لاتقاتلون الا فيه وبأسكم من بأسه .

فقد اجتمع الظنان على شىء واحد ، ظن المسلمين بانهم ثابتون فى حصونهم لا يمكن ان يزحزحوا عنها او يخرجوا منها . وظن الكفار بان لهم فى حصونهم حماية (٣) . وقال الامام الفخر الرازى : " وفى الاية تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فانها تدل على ان معاملتهم مع رسول الله هى بعينها نفس المعاملة مع الله .

---

(١) نظم الدرر بتصرف ـ الكشاف ٤/ ٨٠ ـ حاشية الشهاب ٨/ ١٧٦

(٢) نظم الدرر بتصرف

(٣) التفسير الكبير ٢٩/ ٢٧٨

(٤) نظم الدرر بتصرف .

ولما كان من عادة العرب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكان ذلك شائعا سائغا فى لسانهم ، يألفونه ويستعملونه فقد استعمله القران هنا (فأتاهم الله) اى : جاءهم الملك الاعظم الذى لا يحتملون مجيئه بما صور لهم من حقارة انفسهم التى اضطرتهم الى الجلاء (١) والاتيان فى اللغة : المجىء بسهولة (٢) . ويطلق على المجىء بالذات وبالامر والتدبير فى الخير والشر ومن الاول قوله : اتيت المروءة من بابها . وقوله تعالى (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) اى لا يتعاطون ـ التوبة ٥٤ ـ وهو يتعدى بنفسه وقولهم اتى عليه : كانهم ضمنوه معنى نزل . وقال قوم : انه يستعمل لازما ومتعديا و " أتى " لفظ مشترك يطلق على عدة معان . قال فى اضواء البيان : تاتى بمعنى المجىء وبمعنى الانذار وبمعنى المداهمة (٣) . وقد رجعت الى كتب اللغة فلم اجد فيها هذا المعنى . ولعل له مستندا فى هذا لم اوفق للوصول اليه .

وكون الاتيان جاء من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر على بالهم .

وحيث تم اغتيال زعيمهم كعب ابن الاشرف . والذى تم اغتياله من حيث لم يتوقع

---

(١) نظم الدرر بتصرف .

(٢) المختار الصحاح اللغة ص ٥ ، لسان العرب ١٤/١٤ ، مفردات الراغب ص ٧ ، تاج العروس ٩/١٠ ، مقاييس اللغة ٥٠/١

(٣) اضواء البيان ٣٢/٨ .

من أخيه من الرضاعة ، فهذا مما حظم معنوياتهم وقهرهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة وفل شوكتهم ، ذلك ان مرجع الضمير فى قوله : (فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) يعود الى بنى النضير . اى انزل الله بهم عقوبة وذلة ومهانة . جاءتهم من حيث لم يحتسبوا . والمعنى : من الجهة التى لم يخطروا انفسهم عن مقاومة جند الله ، بعد ان كان الشيطان زين لهم غير ذلك ، وملأ قلوبهم من الاطماع ، حتى قطعوا بما مناهم وقربه لهم واغواهم . ولما كان التقدير : فأتاهم الله لذلك عطف عليه قوله : (وقذف) : فى اللغة : انزل انزالا كانه قذف بحجارة ثبت وارتكز من قولهم فى صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه متداخل اجزائه ، ويطلق القذف على الرمى بقوة او من بعيد (٢) . (فى قلوبهم الرعب) : وهو الخوف الشديد لانه يتصور فيه انه ملأ القلب من قولهم : رعبت الحوض اذا ملاته (٣) .

والرعب : من اسباب هزيمة الجيوش ، لذلك نرى القادة والرؤساء يحرصون

---

(١) نظم الدرر بتصرف

(٢) لسان العرب ٩/٢٧٧ مادة قذف ، مقاييس اللغة ٥/٦٨ ، مختار الصحاح ٥٢٦ ، مفردات الراغب ٥٩٩

(٣) لسان العرب ١/٤٢ مادة (رعب) ، مقاييس اللغة ٣/٤١٠ ، مختار الصحاح ٢٤٧ ، مفردات الراغب ٢٨٧ ، نظم الدرر .

على ازالة اسبابه عن الجنود ، وهو ما يعبرون عنه فى العصر الحديث برفع الروح المعنوية للجنود ، ذلك ان الجندى اذا خاف ارتبك واذا ارتبك عجز عن التصرف بحكمة او تهور فاضر بنفسه او باخوانه .

من هنا كان قذف الرعب فى قلوب بنى النضير سببا لتخريبهم فى تخريب بيوتهم بايديهم ، وهذا منتهى الحماقة بسبب الرعب وهو الخوف الذى سكن قلوبهم وملاها وعبر منها الى جميع قراهم فاجتثها من أصلها بين اثر الرعب فى اعمالهم بقوله : (يخربون بيوتهم بايديهم) : قرئ بالتخفيف من اخرب اى يهدمون ، وقرئ بالتشديد من التخريب بمعنى التكثير . والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد . (١) لان التخريب اذا كان باليد كان فسادا حقيقيا وان كان بالعمل كان مجازا والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب ليسدوا بها منافذ الطرق اثناء الحصار ، ولئلا ينتفع بها المسلمون بعد جلائهم عنها ، واما المسلمون فلكى يزيلوا السدود والموانع حتى تتسع رقعة الحرب .

---

(١) الكشاف ٤/٨٠ ، نظم الدرر بتصرف ، حاشية الشهاب ٨/١٧٦ .

وقيده بايديهم ضعفا منهم ، بما اشار اليه جمع العلة وياسا ممن قوتهم لياخذوا ما استحسنوا من الاثاث فكان الرجل منهم لما يجلو للرحيل يهدم بيته من خلف بابه ، وما استحسن من خشبه ، فيضمه على ظهر بعيره وينقر به الجدار ويهدم السقف حسدا للمسلمين ان يسكنوها بعدهم لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ان يجلو له عن البلد ولهم حمل ماحملت ابلهم (١).

(وأيدى المؤمنين) : اى الراسخين في الايمان استيلاا وغلبة عليهم .

وقد عبر القرآن عن تخريبهم لها بايدى المؤمنين : لانهم هم الذين عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانوا كالآمرين به . وايضا فقد حصل من المؤمنين اتلاف لبعض اموال الكافرين ارهابا لهم وبيانا لعجزهم عن حماية اموالهم ـ كما سياتى ـ وصحت اضافة البيوت اليهم لانهم بنوها في مكان برية ليس لاحد (٢)

(فاعتبروا يا اولى الابصار) الفاء هنا للعطف على مقدر والمعنى انظروا فاعتبروا اصل العبر تجاوز من حال الى حال فاما العبور فيختص بتجاوز الماء اما بسباحة او في

---

(١) نظم الدرر بتصرف

(٢) الكشاف ٤/٨٠ ، حاشية الشهاب ٨/١٧٦ ، نظم الدرر

سفينة اوعلى بعير او قنطرة . ومنه عبر النهر لجانبه حيث يعبر اليه او منه ، واشتق منه عبر العين للدمع والعبرة كالدمعة ، وعبر القوم اذا ماتوا كانهم عبروا قنطرة الدنيا ، واما العبارة فهى مختصة بالكلام العابر بالهواء من لسان المتكلم الى مسمع السامع ، والاعتبار والعبرة بالحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد الى ماليس بمشاهد . (١)

والمراد بالابصار : هنا قوة القلب المدركة مفردها بصيرة وبصر نحو قوله تعالى : (ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار) ـ ال عمران ١٣ . والمراد بها هنا العقول (٢)

والمعنى : احملوا انفسكم على التامل فى عظيم قدرة الله ، من ظواهر العلم فى هذه القضية الى بواطنها وحقائقها ، فتفكروا وانظروا كيف فعل الله مع هؤلاء الفاسقين المفترين ، الذين اعتمدوا على غير الله ، من مخلوقات لاتغنى عنهم شيئا فعليكم اذن ان تنظروا الى بواطن الحكمة بان لاتعتمدوا على احد من الخلق فى محاربة الله كما اعتمد هؤلاء على المنافقين . (٣)

---

(١) مفردات الراغب ص ٣٢٠ ، لسان العرب مادة "عبر" ج ١ ص ٥٣١ ، مقاييس اللغة

(٢) مفردات الراغب ص ٦٣ ، لسان العرب مادة بصر ج ١ ص ٦٤ ، مقاييس اللغة ١/ ٢٥٤ ، مختار الصحاح ٥٤

(٣) نظم الدرر بتصرف

فان الاعتبار كما قال القشيرى : احد قوانين الشرع ، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر بغيره . (١) أ . هـ

ولما كان الاعتبار عظيما عظم النفع ، ولا يحصل الا للكمل زاده تعظيما بقوله : (يا اولى الابصار) لتنظروا بابصاركم وبصائركم ، لتتعظوا بما وقع لهؤلاء فلا تخالفوا ماجاءكم به رسوله ، بل تعزروا دينه وتعلوا كلمته وتنصروه فلا تعتمدوا على غيره كما اعتمد هؤلاء على المنافقين ، فان من اعتمد على مخلوق اسلمه ذلك الى مهانة ومذلة . (٢) أ . هـ .

والحذر الحذر من ان تتشبهوا بهم ، فتفعلوا مثل افعالهم او تتبعوا خطوات الشيطان مخترين بقوتكم المادية (٣) . ولقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاقتداء باليهود اوالنصارى او التشبه بهم . فقال : لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة (٤) الحديث . ودلت هذه الاية على ان الله هو الفعال لما يريد ، وهو فاعل كل شيء فهو القهار والامور محكومة بامره وهو الذى يدبر الامور ويوجد اسباب العز والذل والنصر والهزيمة . فهذه الفئة الباغية قد شاقت الله ، وكذبت رسوله ، وبغت بغير الحق ، وكان بغيها عن علم

---

(١) واصل العبارة موجود فى كتاب " لطائف الاشارات " جـ ١٢٥/٦

(٢) نظم الدرر بتصرف

(٣) المرجع السابق بتصرف

(٤) الحديث اخرجه احمد فى مسنده ١٢٥/٤ . والقذة هى : ريشة السهم ومعنى الحديث : كما تقدر ريشة السهم وتقاس على الريشة الثانية . قال ابن الاثير : يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

وجريمتها عن سبق اصرار لذلك استحقت العقوبة فاذلها الله وجعلها عبـــــرة لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد .

وفى هذه الاية تربية عملية مستوحاة من واقع قصة معينة ، شاهدها الذيـــن نزل عليهم القرآن فكانت تقويما لنفوسهم .

(ولولا) : تفيد انتفاء الشىء لثبوت غيره (ان كتب الله عليهم الجـــلاء) : اى قدره وقضاه فى الازل ، ان يخرجوا على هذا الشكل الفظيع (١)

والكتب فى اللغة : ضم شىء الى شىء وقد استعمل فى ضم الحروف بعضهـــا الى بعض بالخط ، ثم استعير للمضموم بعضها الى بعض فى اللفظ . واستعمل فـــى الفرض والوجوب والقضاء (٢)

ويقال للقدر بالكتاب . ، اى فرض فرضا حتما الملك الذى له الامر كلـــه

(الجلاء) : وهو فى اللغة : الخروج من البلد والاخراج ايضا يقال : جـــــلا القوم عن اوطانهم يجلون واجلوا اذا خرجوا من بلد الى بلد . والجلاء ــ ممدود ــ مصدر جلا عن وطنه . ويقال اجلاهم السلطان فاجلوا اى اخرجهم فخرجوا . (٣)

---

(١) التفسير الكبير ٢٨٢/٢٩

(٢) لسان العرب مادة كتب جـ ١٤/ص ١٤٩ ، مفردات الراغب ٦٢٨ ، مقاييس اللغة ٤٦٨/١ ، مختار الصحاح ص١٠٨

(٣) لسان العرب ١٠٩/١٤ ، مختار الصحاح ص١٠٩ ، مقاييس اللغـــة ١٥٨/٥ ، مفردات الراغب ٦٣٩ .

(لعذبهم في الدنيا) : اى بالسيف كماسيفعل باخوانهم في بني قريظة ، الذين كتب عليهم العذاب دون الجلاء من قتل المقاتلة وسبي الذرية ، فانه تعالى قد قضى قضاء ان يطهر المدينة بلد الوحى منهم . (١)

(ولهم في الاخرة عذاب النار) : قال الالوسى : استئناف غير متعلق بجواب (لولا) اى انهم ان نجوا من عذاب الدنيا وهو القتل ، لامر اشق عليهم وهو الجلاء لم ينجوا من عذاب الاخرة ، فليس تمتعهم اياما قلائل بالحياة وتهوين امر الجلاء على انفسهم بنافع ، وفيه اشارة الى ان القتل اشد من الجلاء لا لذاته بل لانهم يصلون عنده الى عذاب النار ، وانما اثر الجلاء لانه اشق عندهم وانهم غير معتقدين لما امامهم من عذاب النار او معتقدون ولكن لا يلقون له بالا " (٢)

وعبر باداة النفع "ولهم" على طريق التهكم اى على كل حال سواء اجلوا او تركوا (٣) ولعله انما بين الاية بقوله "ولهم في الاخرة عذاب النار " لدفع توهم ان الجلاء

---

(١) نظم الدرر

(٢) الالوسى ٤٢/٢٨١

(٣) نظم الدرر بتصرف .

قد ينجيهم من عذاب الاخرة .

فهذه الايتقرر ان الله سبحانه قد قضى ان ينكل بهذه الطائفة بهـــذه الصورة صورة الاجلاء والخزى والاذلال الذى وقع لكثير منهم فى مر العصور وعلـى كر الدهور . قال تعالى :

" واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العـذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم " ـ الاعراف ـ ١٦٧ ـ وقد اصابهم ماكتبه الله عليهم من التشريد والنكال ولن يعفيهم هذا العذاب من عذاب الاخرة وهـو اشق وانكى ولا يزول .

(ذلك بانهم) : اى الامر العظيم من الجلاء وقد ماته فى الدنيا وما يفعلـه بهم فى الاخرة بسبب انهم قد ضموا الى ماكتمانوا عليه من الكفر الظاهر كفرا باطنـا بما بيتوا من مكيدة تلحق الرعب وغيره من الاذى بالمسلمين مكرا منهم عبر عنه بقوله :

(شاقوا الله) اى : الملك الاعلى الذى له الاحاطة التامة (١) فكانوا فى شـق غير شقه بانصاروا فى شق الاعداء المحاربين بعد ان كانوا فى شق الموادعين .

---

(١) نظم الدرر بتصرف

والشقاق : في اللغة هو المنازعة وقيل المجادلة والمخالفة والتعادي وأصله من الشق وهو الجانب ، فكأن كل واحد من الفريقين في شق غير شق صاحبه . وقيل ان الشقاق ماخوذ من فعل مايشق ويصعب فكأن كلا من الفريقين يحرص على مايشق على صاحبه . (١)

(ورسوله) اى وشاقوا رسوله الذى ارسله اليهم يبلغهم مافيه صلاحهم وخلاصهم في الدنيا والآخرة . وايد بما يدل على صدقه وانه النبى الموعود الذى بشرت به انبياؤهم من قبل ، فلما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب مساعدتهم وعدوه خيرا وبيتوا في انفسهم غير ذلك ، فعاملهم بمكرهم ، ورجع الى المدينة ليستعد لمحاربتهم وترك اصحابه رضى الله عنهم عندهم ليوهمهم انه لم يعلم بمؤامرتهم التى علمها الله فاطلعه عليها ليحذرها .

ولما كانت مشاقة الله مشاقة لرسوله ، ومشاقة الرسول مشاقة لله ، فقد اكتفى بذكر احدهما فقال : (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) .

---

(١) القرطبى ٥٢٧/١

ـ لسان العرب مادة شقق ص ١٨٣

ـ مختار الصحاح ٣٤٧

ـ مفردات الراغب ٢٦٤

ـ مقاييس اللغة ١٧١/٣

عبر بقضية عامة مكونة من جملة شرطية ، ودل على جوابها بلازمة في سياق التعليل والمعنى : من يخالف الله فيقف في شق غير شقه ، نيله مثل ما نال بني النضير (١)

(فان الله شديد العقاب) اى لان الله شديد العقاب اى الذي اجلال رسوله من اجلاله . والمقصود بهذه القاعدة العامة التهديد والزجر . وقد قرئ يشاقق بفك الادغام . (٢)

وانما اقتصر على ذكر مشاقته تعالى لانها تتضمن مشاقة النبي صلى الله عليه وسلم وليوافق قوله تعالى (فان الله شديد العقاب) .

ولما اخبر بفعله وسببه عطف عليه كلمة التاكيد المضمونة ليفيد انه يفعل في غيرهم ممن كان على امرهم اعظم من فعله بهم فقال (فان الله شديد العقاب)

وفي هذه الاية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم اذ كانت مشاقته ومعاداته مشاقة لله تعالى ذلك أن طاعة الرسول من طاعة الله تعالى كما قال تعالى :

(من يطع الرسول فقد اطاع الله) النساء ٨٠ وفي هذه الآية بيان لعدالة الله في نصرة اوليائه والانتقام من اعدائه .

---

(١) نظم الدرر بتصرف .

(٢) ابو السعود ٤/٣٠٠

ولما دل سبحانه على عزته وحكمته كما فعل ببني النضير الذين يقولون انهم اشجع الناس واشدهم شكيمة بما لهم من الاصالة والاصطفاء على العالمين مع التأييد بالكتاب والحكمة اتبعه ببيان ما عاقبهم به من قطع الصحابة رضى الله عنهم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم لنخلهم الذى هو اعز عليهم من ابكارهم .(١) فقال :

(ماقطعتم) مافى محل نصب بـ " قطعتم " كانه قال اى شىء قطعتم .

(من لينة) بيان لما فى (ما) من الابهام (او تركتموها قائمة على اصولها) (٢) والكناية راجعة الى "لينة" (بما يفيد نوعه .قال القرطبى : اختلف فى اللغة ماهى على عشرة اقوال (٣) :

الاول : النخل كله الا العجوة قاله الزهرى ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل .

الثانى : انها النخل كله : وهو مروى عن ابن عباس ، والحسن ومجاهد ولم يستثنوا عجوة ولا غيرها

الثالث : وهو رواية اخرى عن ابن عباس ايضا ، انها لون من النخل .

الرابع : انها كرام النخل . وهو مروى عن الثورى .

---

(١) نظم الدرر ـ بتصرف

(٢) الكشاف ٤/ ٨٤ ونظم الدرر

(٣) القرطبى ٨/ ٦٤٨٧

الخامس : انها جميع الوان النخل سوى العجوة ، والبرنى . وهذا مروى عن ابى عبيدة .

السادس : أنها العجوة خاصة . قاله جعفر بن محمد .

وذكر ان العتيق والعجوة كانت مع نوح عليه السلام فى السفينة . والعتيق : الفحل . وكانت العجوة اصل الاناث . فلذلك يشق على اليهود قطعها .

السابع : قيل : انه ضرب من النخيل يقال لثمره : اللون ثمره اجود التمر . وهو شديد الصفرة . يرى نواه من خارجه ويشيب فيه الطرس ، النخلة منها احب اليهم من وصيف (١)

الثامن : هى النخلة الغريبة من الارض . وانشد الاخفش :

قد شجانى الحمام حين تغنى بفراق الاحباب من فوق لينة

التاسع : انها اى اللينة الاشجار كلها للينها بالحياة قال ذو الرمة : (٢)

طراق الخوافى واقع فوق لينة ندى ليله فى ريشه يترقرق

العاشر : انها الدقل .. بتشديد الدال وفتحها . وهو للاصمعى .

---

(١) معنى وصيف خادم : غلاما كان او جارية والجمع وصفاء . مختار الصحاح ص ٧٢٤ وقد ذكر هذا القول البقاعى فى نظم الدرر ورجحه . وذكره البغوى فى تفسيره ج ٧ ص ٤٩ . مطبوع بهامش تفسير الخازن .

(٢) ديوان ذى الرمة ص ٤٨٨ من البحر الطويل .

قال : واهل المدينة يقولون : لا تنتفع الموائد حتى توجد الالـــوان يعنون الدقل . وقد صحح ابن العربي في تفسيره القول الاول وهو ما قاله الزهـــري ومالك لوجهين (١) احدهما : انهما اعرف ببلدهما واشجارها .
والثاني : ان الاشتقاق يعضده واهل اللغة يصححونه . فان اللينة وزنها لونـــة ، واعتلت على اصولهم ، فآلت الى لينة فهي لون ، فاذا دخلت الهاء كســـر اولها ، وقيل لينة اصلها لونة ـ بكسر اللام ـ فقلبت الواء ياء لانكسار ماقبلهـــا وجمع اللينة لين . وقيل لبان . قال امرؤ القيس يصف فرسه :

وسالفه كسحوق الليـــا ن اضرم فيها القوى الشمـــر (٢)

وقال الاخفش : انما سميت لينة اشتقاق من اللون لا من اللين . قال المهـدوي واختلف في اشتقاقها ، فقيل : هي من اللون واصلها لونة . وقيل اصلهـــا لينة من لان يلين (٣) أ هـ .

ولما كان الترك يحصل ببقائها قائمة او بكونها مقطوعة بين ان المـــراد

---

(١) احكام القران ١٧٥٧/٤

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٩٨ ، الفخر الزائري ٢٨٣/٢٩ ، البحـــر المحيط ٢٤٠/٨ ، ٢٤٤ ، لسان العرب " مادة لون " جـ ١٣/ ٣٩٣ .

(٣) القرطبي ـ المجلد الثامن / ١٤٨٨ بتصرف ـ لسان العرب مادة لـون جـ ١٣/ ٣٩٣ .

بقاءها سالمة غير مقطوعة فقال : (قائمة على اصولها) حية تزدهر وتثمر .

(فباذن الله) : اى بتمكين الملك العظيم ورضاه او بامره وشرعه (١) . وقال ابن كثير في تفسيره : انه الاذن القدرى والمشيئة الالهية كما فى قوله تعالى (وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله) ـ ال عمران ١٦٦ ـ وقوله : (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه) ـ ال عمران ١٥٢ ـ والظاهر انه لامنافاة بين القولين فقد اجتمع فى هذه المسألة الامران الاذن الشرعى والقدرى . والتقدير .

قال القشيرى : وفى هذا دليل على أن الشريعة غير معللة ، واذا جاء الامر الشرعى بطل طلب التعليل وسكتت الالسنة عن التقاضى بلم وخطر الاعتراض والاستقباح بالبال خروج عن حد العرفان . (٢)

(وليخزى الفاسقين) : والواو هنا للعطف والتقدير فباذن الله وذلك ليخزى الفاسقين اى ليتحق به اذلال اليهود وغيظهم فى قطعها وتركها لانهم حين يرون المؤمنين يتحكمون فى اموالهم بقطعها ، يزداد غيظهم وتتضاعف

---

(١) نظم الدرر تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣٣

(٢) لطائف الاشارات ٦/ ١٢٦

حسرتهم (١) .

قال الزجاج : (وليخزى الفاسقين) بان يريهم اموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف احبوا من قطع وترك . والتقدير ليخزى الفاسقين اذ ن فى ذلك ليخزى الفاسقين (٢) . الذين هم اصلا فى المروق من دائرة الحق ، بان يذلهم ويفضحهم ببيان كذبهم فى دعواهم العز ، والشجاعة والتاييد من الله لانهم على الدين الحق . (٣)

وفى هذه الاية تهدئة لنفوس المؤمنين وتطييب لخاطرهم بعد ماتردد وا فى فعله من قطع النخل وتركه فهى تصوح المؤمنين وتبين حكم الله فيه . حيث قد شاب نفوس المسلمين من تقطيع النخيل بعض الشيء وداخلهم الشك خاصة حين قال اليهود : يامحمد الم تكن تنهى عن الفساد فى الارض . ؟ وقد روى فى سبب نزول الاية اقوال كثيرة منها ماروى الواحدى فى كتابه اسباب النزول : (٤) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا فى حصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا : زعمت يامحمد انك تريد الصلاح . افمن الصلاح

---

(١) ابوالسعود ٤/٣٠١

(٢) فتح البيان ٩/٣٤٤ ، نظم الدرر

(٣) نظم الدرر بتصرف

(٤) اسباب النزول للواحدى ص ٢٣٦ تفسير ابن كثير ٤/٣٣٣ ، نظم الدرر

عقر الشجر وقطع النخيل ؟ وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فوجد (١) المسلمون فى انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك ، فقال بعضهم : لاتقطعوا فانه مما أفاء الله علينا ، وقال : بعضهم : بل اقطعوا فانزل الله تبارك وتعالى : ـ ماقطعتم من لينه ـ تصديقا لمن نهى عن قطعه وتحليلا لمن قطعه ، واخبر ان قطعه وتركه باذن الله تعالى .

وذكر الواحدى سببا اخر عزاه الى البخارى ومسلم فقال : (٢)

أخبرنا ابوعبد الله محمد ابن ابراهيم الداركى اخبرنا والدى ، اخبرنا محمد ابن اسحاق الثقفى ، اخبرنا قتيبة ، اخبرنا الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فانزل الله تعالى : ـ ماقطعتهن لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله ولنجزى الفاسقين ـ رواه البخارى عن قتيبة .

---

(١) اى حزن يقال وجد الرجل وجدا اذا حزن ، وتوجدت لفلان اى حزنت له (لسان العرب مادة وجد جـ ٣/ ٤٤٦)

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير بهامش فتح البارى ص ٢٥٤ جـ ١٠ باب سورة الحشر .

والحديثان فى موضوع واحد وسبب واحد ، الا ان احدهما اكثر تفصيلا من الاخر . وروى ابويعلى عن جابر رضى الله عنه انه قال : رخص لهم فى قطع النخيل ثم شدد عليهم فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله علينا اثم فيما قطعنا وعلينا فيما تركنا ، فانزل الله الاية .

ودلت الاية على جواز افساد اموال اهل الحرب سواء اكان ثمرا ام لا ، وبأى وسيلة كانت بالتحريق او التغريق او الهدم وغير ذلك لاخزائهم بذلك (١) اهـ ثم شرع يبين حال ما اخذ من اموالهم بعد ان بين الله ماحل بهم من العذاب ، العاجل والاجل ، وما فعل بديارهم من التخريب والقطع (٢) .

ومعنى : (وما أفاء الله) قال البقاعى : أى رد الملك الذى له الامر كله ردا سهلا بعد ان كان فيما يظهر فى غاية العسر والصعوبة (٣) .

واصل الفىء فى اللغة : ماكان شمسا فنسخه الظل والجمع افياء وفيوء وفاء الفىء فيئا . تحول وتفيأ فيه : تظلل وانما سمى الظل فيئا لرجوع

---

(١) نظم الدرر ، الالوسى جـ ٢٨ / ٤٤ ، والقرطبى وابن كثير وغالب كتب التفسير ذكرت هذا المعنى .

(٢) روح المعانى ٢٨ / ٤٤

(٣) نظم الدرر .

من جانب الى جانب . وفاء رجع . وفاء الى الامر يفيء وفاء فيئا وفيوءا : رجع اليه . قال تعالى : (فان فاءوا فان الله غفور رحيم) ـ البقرة ٢٢٦ ـ فالفيء في كتاب الله تعالى على ثلاثة معان مرجعها الى اصل واحد وهو الرجوع (١) .

وفي اصطلاح الفقهاء : الغنيمة والخراج : تقول منه : افاء الله على المسلمين مال الكفار يفيء افاءة . وهو ماحصل للمسلمين من اموال الكفار من غير حرب ولا جهاد ويفارق الغنيمة بانها لاتحصل الا عقب الحرب والجهاد والمناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحي :

أن الاصل ان الاموال كانت كلها لله تعالى انعاما على من يعبده بما شرعه على السنة رسله عليهم السلام . وكانت في ايدى الكفار غصبا غصبوه من اوليائه فخص سبحانه اولياءه ، وصيره في يد النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كان خروجه عنها بوضع ايدى الكفرة عليه ظلما وعدوانا دل عليه التعبير بالفيء الذى هو عود الظل الى الناحية التى كان ابتدأ منها . نقول وهذا التعليل من البقاعي لعله نظر فيه الى الاموال من جهة الواقع ونفس الامر ذلك ان جميع مافي الكون ملك لله يستخلف فيه عباده الصالحين " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يرثها عبادى الصالحون) (٢) الانبياء ١٠٦ ـ فاذا ما استولى عليها الكفار كان ذلك ظلما ابطله الله لنصرة المؤمنين فيعود المال اليهم (على رسوله) من اموال بني النضير وصيرها في يده بعد ان كان خروجه عنها بوضع أيدى .

---

(١) لسان العرب ١/ ١٢٤ ومابعدها ، مختار الصحاح ٥١٦ ، مفردات الراغب ٥٨٥
(٢) ذكر هذه المناسبة البقاعي في نظم الدرر .

(منهم) : اى ردا مبتدئا من الفاسقين ان هذا فيء لاغنيمة (١) .

(فما اوجفتم عليه) من الوجيف وهو سرعة السير قال الشاعر :

مذاويد بالبيض الحديث صقالها عن الركب احيانا اذا الركب اوجفوا

يقال وجف الفرس اذا اسرع واوجفته انا اى حركته واتعبته وانشد عليه ابوحيان :

الا رب ركب قد قطعت وجيفهم اليك ولولا انت لم توجف الركب (٢)

(ما) يصح فيها وجهان اما ان تكون موصولة او شرطية فان كانت موصولة كانت الفاء حرف عطف ، وان كانت شرطية كانت واقعة فى جواب الشرط .

(من خيل ولا ركاب) (من) : دخلت على المفعول زيادة فى ابهام (مـا) للتنصيص على الاستغراق كانه قيل : فما اوجفتم عليه فردا من افراد الخيل اصلا (٣) .

(خيل) : وهى الفرسان وفى المحكم : جماعة الافراس لا واحد له من لفظه وقال ابوعبيدة : واحدها خائل لانه يختال فى مشيته (٤) .

(لا ركاب) قال الالوسى : ولا مايركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه . فلا يقال فى الاكثر الفصيح : راكب لمن كان على الفرس والحمار او نحوه بل يقال فارس ونحوه وان كان ذلك عاما لغيره وضعا . (٥)

---

(١) نظم الدرر ـ الالوسى ٤٥/٢٨

(٢) القرطبى ٦٤٨٩/٨ ، الالوسى ٤٥/٢٨ ، لسان العرب ٣٥٣/٩ ، مفردات الراغب ٨٠٧ ، مختار الصحاح ٧١١

(٣) الالوسى ٤٥/٢٨ بتصرف

(٤) لسان العرب ٢٣١/١١

(٥) الالوسى ٤٥/٢٨ ، لسان العرب ٤٣٠/١

وانما جعلها الله فيئا بسبب عدم وجود قتال يعتد به ولم يجعلها غنيمة فتاخذ حكم الغنيمة فهى تقسم قسمة الفيء لاقسمة الغنيمة . (١)

(ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) :

اى له هذه السنة فى كل زمن ، فيجعل على ما آتاهم الله سبحانه من الهيبة رعبا فى قلوب اعدائه فهو الذى سلط رسوله (ص) على هؤلاء وقذف فى قلوبهم الرعب منه ، ونصره عليهم ، وهذا التسليط خاص ، وسنة خاصة برسله واوليائه يسلطهم على من يشاء من اعدائه على غير المعهود والمعتاد (٢)

وللنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك النصيب الاوفر والحظ الاعظم فقد اعطى من ذلك مالم يعط لغيره . روى الجماعة عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر (٣) .. الحديث

---

(١) نظم الدرر بتصرف ، روح المعانى ٢٨ / ٤٦ وغالب كتب التفسير ذكرت هذا التعليل

(٢) الالوسى ٢٨ / ٤٥ ونظم الدرر

(٣) واخرجه فى كتاب الجهاد باب قول النبى صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر الحديث واخرجه البخارى فى كتاب التيمم باب قوله " وجعلت لى الارض مسجدا طهورا ومسلم فى كتاب المساجد باب مواضع الصلاة والترمذى فى كتاب السير والنسائى فى كتاب الغسل . واخرجه عبد الله الدارمى فى مسنده واحمد ابن حنبل فى مسنده ١ / ٣٠١ .

(والله على كل شيء قدير) : اى الملك الذى له الكمال كله .

(على كل شيء) اى شيء يصح ان تتعلق المشيئة به . وهو كل ممكن من التسليط وغيره ومن انزال الهزائم او النصر دون الاسباب والمسببات الظاهرة ودون خوض غمار الحروب والكروب . (١)

(قدير) : اى بالغ القدرة الى اقصى الغايات من التسليط وغيره . كالاعزاز والاذلال والنصر والخذلان والايجاد والاعدام والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والانتقام والعفو وغير ذلك .

ودلت الاية على ان ايجاف الخيل والركاب وقصد الاعداء الى الاماكن الشاسعة له اثر عظيم ووقع كبير فى نفوسهم بما ينزل اليها من الرعب والخوف الشديد (٢)

وفى هذه الاية بيان حكم الفيء وعلته . وهى انه لله ولرسوله لا للجيش ذلك انه تحقق بالقاء الرعب فى قلوب اعدائه الى ان استسلموا واستكانوا دون ما جهد من المسلمين فى الحرب والمصاولة . بل كان من عند الله ونصره على وجه غير مالوف فلم يكن لسنن المخلوقات فيه مدخل بل انما كان على وجه غير عادى . قال

---

(١) نظم الدرر بتصرف . الالوسى ص ٤٥ / ج ٢٨ ، ابو السعود ج ٥ / ٣٠٢

(٢) نظم الدرر بتصرف .

الامام الشهيد سيد قطـــب :

هذا هو حكم الفيء بينته الايات ولكنها لاتقتصر على الحكم وعلته المقررة انمـــا تفتح القلوب على حقيقة اخرى كبيرة : " ولكن الله يسلط رسله على من يشـــاء " فهو قدر الله وهم طرف من هذا القدر يسلطه على من يشاء . (والله علـــى كل شيء قدير " .

بهذا يتصل شان الرسل بقدر الله المباشر ويتحدد مكانهم فى دولاب القـــدر الدوار . ويتبين انهم — ولو انهم بشر متصلون بارادة الله ومشيئته اتصالا خاصا يجعل لهم دورا معينا فى تحقيق قدر الله فى الارض باذن الله وتقديره فما يتحركون بهواهم وما ياخذون او يدعون لحسابهم وما يغمزون او يقعدون وما يخاصمون اويصالحون الا لتحقيق جانب من قدر الله فى الارض منوط بهم ومتصرفاتهم وتحركاتهم فـــى هذه الارض . والله هو الفاعل من وراء ذلك كله وهو على كل شيء قدير " (١)

---

(١) ظلال القران — المجلد ٨/ ص ٣٧ .

بعد ان بين حكم الاموال التي ترد على المسلمين دون قتال تشوقت نفوس المؤمنين لمعرفة امر هام يحتاجون اليه في حياتهم : فسألوا هل هذا الحكم عام في كل ما أفاء الله على المسلمين من غير ايجاف خيل او ركاب ابل او هو خاص باموال بني النضير وكيف تقسم تلك الاموال . فقال تعالى مجيبا على سؤال تردد في النفوس دون ان تتكلم (١) ، فقال : (ما افاء الله) : اى الملك الذى اختص بالعزة والحكمة والقدرة (على رسوله) الكامل في الرسولية .

قال الزمخشرى : ولم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها وغير اجنبية عنها . (٢) ولما كان سبحانه يحيط العلم بانه يسلطه على اهل وادى القرى وغيرهم اعظم من هذا التسليط ليكون علما من اعلام النبوة فقال : (من اهل القرى) : اى قرية بني النضير وغيرها من وادى القرى والصفراء وينبع وفدك وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرية عربية (٣) . ووضع اهل القرى موضع الضمير للاشعار بشمول ما لعقاراتهم (٤) .

---

(١) نظم الدرر بتصرف . واورد هذا المعنى الالوسى ٢٨/ ٤٥

و(٢) الكشاف ٤/ ٨٢

(٣) القرطبى ص ٨/٦٤٩١ . نظم الدرر بتصرف ، الكشاف ٤/ ٨٢ ، روح المعانى ٢٨/ ص ٤٨

(٤) ارشاد العقل السليم جـ ٥ / ٣٠٣ .

(فلله) : اى الملك الاعلى الذى الامر كله بيده .

(وللرسول) : لانه اعظم خلقه ، فرتبته تلى رتبته وهذا يتراءى انهما قسمان وليس كذلك ، هما قسم واحد ولكنه ذكر سبحانه نفسه المقدسة تبركا فان كل امر لا يبدأ به فهو اجذم وتعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم اعلاما بانه لا هوى له اصلا فى شىء من الدنيا وانما رضاه رضى مولاه ، خلقه القرآن فهو مظهره ومجليه يتأدب بأدبه ويهدى بهديه ويحكمه فى كل صغيرة وكبيرة . (١)

ومهمه صلى الله عليه وسلم يصرف لمصالح المسلمين كالسلاح والثغور والعلماء والقضاة على ان العلماء قد اختلفوا هل هما سهمان ام سهم واحد . على ما سيبينه ان شاء الله (٢) . ولما ابان هذا الكلام ما لرسوله صلى الله عليه وسلم من الفضل والعظمة اتبعه تعظيما اخر بتعظيم اقاربه لاجله ولذلك اعاد العامل فقال :

(ولذى القربى) اى منه لان رتبتهم بعد رتبته وهم بنو هاشم . وبنو المطلب سواء فى ذلك غنيهم وفقيرهم لان اختصاصهم بذلك بالقرابة لا بالحاجة وهو راى اكثر الناس . وراى الامام مالك : انه لا يعطى منه غير فقرائهم لانه جعل عوضا لهم عن الصدقة (٣) .

---

(١) نظم الدرر بتصرف

(٢) فى ص ١٣٧ وما بعدها من هذه الرسالة

(٣) نظم الدرر القرطبى ٦٤٩٤/٨ .

ولما ذكر اهل الشرف اتبعه اهل الضعف جبرا لوحشتهم فقال مقدما ضعفهم (١)

(واليتامى) : اى الذين هم احق الناس بالعطف لان مبنى الدين على التخلق باخلاق الله التى من اجلها تقوية الضعيف وجبر الكسير . (١)

واليتيم : من فقد والده حتى يبلغ فهو محروم من عطف الاب وبالتالى فهو محتاج الى من يعوضه عن هذا النقص ، فلو قسا الناس عليه لولد ذلك عنده نكسة وعاش فى عقد نفسية ، وكان عضوا فاسدا فى المجتمع ، لذلك اهتم القرآن به اشد اهتمام ووجه له عنايته فى مواضع كثيرة من الكتاب حرصا عليه واهتماما وخوفا من ان ينقلب الى عضو مسيء . (٢)

(والمساكين) : فانهم فى الضعف على اثرهم . والمسكين مشتق من السكون فكان الفقر قد سكنه . (٣)

وهل هو اشد فقرا من الفقير او الفقير اشد فقرا منه ، خلاف بين العلماء لكنهم يتفقون على انه اذا استعمل احدهما فيه دخل فيه الاخر ، فاذا اجتمعا فى جملة واحدة تحصل الخلاف فى ايهما اشد فقرا .

---

(١) نظم الدرر (ولعله اراد اضعفهم)

(٢) لسان العرب جـ ١ / ٦٤٥ ـ مقاييس اللغة ٦/ ١٥٤/ مفردات الراغب ٨٤٥ الرازى ١٦٧/٣ .

(٣) لسان العرب ٢١٥/١٣ ـ مقاييس اللغة ٨٩/٣ ـ الرازى ٣/ ١٦٧ ـ مفردات الراغب ٣٤٦ .

وللعلماء رايان احدهما ان الفقير اكثر فقرا من المسكين . والثاني ان المسكين اكثر منه على ان الاية قد ذكرت المساكين فدخل فيهم الفقراء فلا حاجة هنا الى ترجيح احد الرايين على الآخر . (وابن السبيل) : وهم الغرباء لانقطاعهم عن اوطانهم وعشائرهم . وهو المسافر نسب الى السبيل الذي هو الطريق لملازمته (١) اياه فهو غريب . والغريب يحتاج الى المساعدة وهو اقل حاجة من سابقه لذلك اخره وقد يكون غنيا فحاجته ادبية او معنوية . وسياتي تفصيل القول في كيفية قسمة الفيء ومن ياخذ منه وما نصيب كل واحد ان شاء الله . (٢)

ولما حكم سبحانه هذا الحكم في الفيء المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية من اختصاص الاغنياء به بين علته المظهرة لعظمته سبحانه وخص تدبيره ورحمته فقال : (كيلا يكون) : اي الفيء الذي يسره الله سبحانه بقوته وما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم بين ان من حقه ان يعطاه الفقراء . (٣)

---

(١) لسان العرب جـ ١١/ ٣٢٠ ـ المفردات ص ٣٢٧ ـ نظم الدرر

(٢) انظر ص ١٣٧ وما بعدها من هذا البحث

(٣) نظم الدرر ـ القرطبي ٨/ ٦٤٩٥ ـ الكشاف ٤/ ٨٢ .

(دولة) : بضم الدال وفتحها — يدور عند المفسرين على معنيين :

بالفتح الظفر في الحرب وغيره — من دال يدول دولة — وهي المصدر وبالضم اسم الشيء الذي يتداوله من الاموال اهل الغنى والشرف متأثرين بعادات الجاهلية فكانوا يقولون : من عزيز ومن غلب استلب وهذا على قراءة الجماعة (١) وقرأ ابو جعفر وهشام عن ابن عامر (٢) بالتانيث من كان التامة ودولة بالرفع على انها فاعل (بين الاغنياء منكم) : اذا كانت كان تامة — وهي التي تكتفي بمرفوعها فلا تحتاج الى خبر — فهو متعلق على معنى تداول بين الاغنياء منكم — واذا كانت كان ناقصة فهو خبر لها ويجوز ان يكون وصفا لدولة . (٣)

قال القرطبي : " فعلنا ذلك في هذا الفيء كي لا تقسمه الرؤساء والاغنياء بينهم دون الفقراء لان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا اخذ الرئيس ربعها لنفسه

---

(١) نظم الدرر — القرطبي ٨/٦٤٩٥ — الكشاف ٤/٨٢ — لسان العرب جـ ١١/٢٥٢ .

(٢) هو عبد الله بن عامر اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك وهو من التابعين . وليس في القراء السبعة من العرب غيره وغير ابي عمرو والباقون هم موال . توفي بدمشق سنة ثماني عشرة ومائة (كتاب التيسير في القراءات السبع ص ٥) للامام ابي عمرو عثمان بن سعيد الداني .

(٣) القرطبي ٨/٦٤٩٥ .

وهو المرباع ثم يصطفي منها ايضا بعد المرباع ما شاء .

يقول : كي لا يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية . فجعل الله هذا لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه في المواضع التي امر بها ليس فيها خمس فاذا جاء خمس وقع بين المسلمين جميعا . (١) أ.هـ ولما كان التقدير فافعلوا ما امرتكم من قسمته لمن امرت بهم عطف عليه قوله : (وما) : اي وكل شيء . فهي من صيغ العموم (آتاكم) اي احضر اليكم وامكنكم منه في الفيء وغيره (الرسول فخذوه) : اي فتقبلوه متقبل من حازه (ومانهاكم عنه) : من جميع الاشياء (فانتهوا) اي عنه . لانه لا ينطق عن الهوى ولا يقول ولا يفعل الا ما امر به الله ربه (٢) . وهذه الاية عامة في كل صغيرة وكبيرة في الاموال وغيرها . فيجب على المسلم ان يقبل جميع ما يامر به وينهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال تعالى : (وماكان لمؤ من ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) الاحزاب ٣٦ ـ وقد حكم الله بان كمال الايمان انما يكون بتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه والتسليم له (فلا وربك لا يؤ منون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجد وا حرجا قيما قضيت ويسلموا تسليما) النساء ٦٥ .

---

(١) القرطبي ٨/٦٤٩٥

(٢) نظم الدرر بتصرف .

قال الشهيد سيد قطب :

وهذه تمثل النظرية الدستورية الاسلامية فسلطان القانون فى الاسلام مستمد من ان هذا التشريع الذى جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرآنا او سنة والامة كلها والامام معها لاتملك ان تخالف عما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاذا شرعت مايخالفه لم يكن لتشريعها سلطان (١) لانه فقد السند الاول الذى يستمد منه السلطان وهذه النظرية تخالف جميع النظريات الوضعية بما فيها تلك النظرية التى تجعل الامة مصدر السلطات .

ولئن ذكر علماء الاصول ان هناك مصادر اخرى للتشريع كالاجماع والقياس والاستحسان ونحوها فان هذه المصادر راجعة اليها وموزونة بميزانها .

واللفظ وان جاء بلفظ الايتاء وهو المناولة فان معناه الامر بدليل قوله تعالى : (وما نهاكم عنه فانتهوا) فقابله بالنهى ولايقابل النهى الا بالامر (٢) .

(والدليل على ذلك ماثبت فى الصحيحن عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات

---

(١) ظلال القرآن ٣٨/٨

(٢) احكام القرآن ـ لابى العربى ١٧٦٢/٤ ـ القرطبى ١٤٩٧/٨

والمتفلجات للحسن ، المغيرات لخلق الله ، فبلغ ذلك امرأة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت : انه بلغني انك لعنت كيت وكيت .. فقال ومالي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله ، فقالت : لقد قرأت مابين اللوحين فما وجدت فيه ماتقول ، قال : لئن كنت قراتيه لقد وجدتيه اما قرأت : (وما اتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) . قالت : بلى : قال فانه قد نهى عنه (١) . واللفظ للبخاري وفي صحيح مسلم زيادة وهي ان المرأة كانت تقرأ القران .

ولما كان الكف عما القته النفوس صعبا ولاسيما اذا كان متمما بمال على وجه الرئاسة وجب من المخالفة فيه عقب بقوله : (واتقوا الله) اي واجعلوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الاعظم المحيط علما . وعلل ذلك بقوله معظما له ، باعادة لفظ الجلالة مؤكدا لان فعل المخالف لطاعة الرسول فعل منكر (٢) (ان الله) : اي وحده الذي له الجلال والاكرام على الاطلاق .

---

(١) الحديث اخرجه مسلم في كتاب اللباس " باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة " والبخاري في كتاب التفسير " سورة الحشر " والترمذي في كتاب الادب والنسائي في كتاب الزينة . واحمد بن حنبل في مسنده جـ ٤ / ٣٠٨ وعبد الله الدارمي في مسنده .

(٢) نظم الدرر .

(شديد العقاب) . اى العذاب الواقع بعذاب الدنيا وعذاب الاخرة .

ومن يفلت من عذاب الدنيا فلن يفلت من عذاب الاخرة فان الله يمهل ولا يهمل ويملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته .

ولما نزع سبحانه اموال الفيء مما كانت عليه فى الجاهلية وبين مصرف الفيء وحذر من المخالفة فى ذلك لصعوبته على النفوس .

فاصبح ذلك جديرا بالتقبل بعد ان افهم المخاطبين ان اموال بنى النضير لمن سلطه الله عليهم وهو رسوله صلى الله عليه وسلم وكان من المعلوم ومن حاله صلى الله عليه وسلم الايثار على نفسه والقناعة بما دون الكفاف بين المصرف فيها بعد تامين كفايته صلى الله عليه وسلم لان بيان ذلك هو المقصود الاعظم فقال (١) : (للفقراء) ويمكن ان يكون جوابا لمن كانهم قالوا قد سمعنا واطعنا . فلمن يكون ما سلط الله عليه رسوله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فقيل له (للفقراء) : اى الذين كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة فى الشتاء لتقيه البرد وماله من دثار غيرها بعد ان كان له من الاموال ما يسعه ويفضل عنه مما يصل به غيره

---

(١) نظم الدرر

ووصفوا بالفقر لانهم كانوا كذلك عند نزولها (١) ، وقيل هي بدل من قوله : ولذي القربى والمعطوف عليه ، وليس بالمرضي فالابدال ممنوع في هذه الصورة والذي منع الابدال من (لله وللرسول) والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله : (وينصرون الله) وان يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير . وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل . (٢)

ثم خصصهم بالوصف فقال (المهاجرين) ولام الجر متعلقة بما دل عليه قوله تعالى : (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) كانه قيل ولكن يكون للفقراء المهاجرين (٣) .

ولما كانت الهجرة قد تطلق على من هجر اهل الكفر من غير مفارقة الوطن قال : (الذين اخرجوا) فبناه للمفعول انكارا على من اخرجهم لان المنكر هو مطلق الاخراج

---

(١) نظم الدرر بتصرف ، البحر المحيط ٢٤٧/٨ ـ الكشاف ٨٢/٤ ـ القرطبي ٦٤٩٦/٨ ، روح المعاني ٥١/٢٨

(٢) البحر المحيط ٢٤٧/٨

(٣) روح المعاني للالوسي ٥١/٢٨ . نظم الدرر بتصرف .

د ونما التفات الى كونه من مكان معين ، فهؤلاء اخرجوا من ديارهم واموالهم فصبروا (١) .

ولماكان الاخراج يتضمن هنا معنى المنع واختير التعبير به اشارة الى ان المال لستره للانسان كانه ظرف له قال : و(اموالهم) (٢)

والفقير في اللغة مشتق من فقار الظهر وهو المحتاج وهو المكسور فقار ظهره . قال اهل اللغة : ومنه اشتق اسم الفقير وكانه مكسور فقار الظهر من ذلته ومسكنته . ويقال : فقرتهم الفاقرة وهي الداهية كانها كاسرة لفقار الظهر (٢)

وبهذا يتبين انه اذا اطلق الفقير دخل فيه المسكين واذا اطلق المسكين دخل فيه الفقير . فهؤلاء الذين صرف لهم من فيء بني النضير ذكروا مرة بعنوان الفقر واخرى بالمسكنة .

ولماكان طلب الدنيا من النقائص بين انه اذا كان من الله لم يكن كذلك وانه لا يكون قادحا في الاخلاص وان امر بني النضير انما يسره الله تحقيقا لرجائهم

---

(١) نظم الدرر بتصرف

(٢) لسان العرب ٥/٦٠ ـ مفردات الراغب ٥/٦٠
ـ مقاييس اللغة ٤/٤٤٣

(٣) المرجع السابق .

فقال : (يبتغون) اى خرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه لا يجب عليه سبحانه لاحد شيء بقوله : (فضلا من الله) اى الملك الاعظم الذى لاكفوء له لانه المختص بجميع صفات الكمال من الدين والدنيا والاخرة فيغنيهم بفضله عمن سواه . (ورضوانا) : بان يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم فى العوض قادحا فى الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته (٢) . ولما وصفهم بتعلق بواطنهم به سبحانه وقطعها بالرضى بالاخراج عمن وماسواه ووصفهم ببذل ظواهرهم له قال (وينصرون الله) اى على سبيل التجديد فى كل وقت فكانهم ملازمون لنصرة الله التى تفيدها صيغة المضارع (ورسوله) : اى الذى عظمته من عظمة عظمته بانفسهم ليضمحل حزب الشيطان ويقهر ويذل (٣) .

ولما بين ماله منهم سبحانه من العناية تشوقت النفوس للتعرف عليهم اكثر بصفة كاشفة لتبين السبب الذى استحقوا به هذا الثناء وهذا التكريم والانعام فكانهم قالوا : لم استحقوا هذا الثناء وماهى الصفة التى اهلتهم لذلك

---

(١) نظم الدرر

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق بتصرف . (ووصفهم) هكذا فى المخطوطة ولعله وصفهم بواو واحدة .

فقال : (اولئك) اى العالوا الرتبة فى الاخلاق الفاضلة (هم) : اى خاصة (الصادقون) : اى العريقون فى هذا الوصف لان هجرهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما وهوالقريب الصافى نسبا ودارا ووالوا اولياءهما من كانوا واين اقاموا وان بعدت دارهم وشط مزارهم . (١)

وقد دلت الاية على ان البينة اصل فى ثبوت الدعوى ولذلك ابتلى الله اولئك القوم ليعينهم على قدر ابتلائهم ، فقد جرت سنة الله ان ياتى العون على قدر الابتلاء . ولماكان ابتلاؤهم عظيما اكرمهم الله بما اكرمهم به من الاموال واثنى عليهم فى محكم التنزيل .

ولمامدح الله المهاجرين واعطاهم طابت نفوس الانصار بذلك وكانوا فى كل حال معه كالميت بين يدى الغاسل مهما شاء به فعل ومهما اراد منهم صار اليه ووصل اتبعه بمدحهم جهرا لهم وشكرا لصنيعهم (٢) فقال : عاطفا على مجموع القصة : والذين تبوءوا) اى جعلوه بغاية جهدهم ، والمراد بهم

---

(١) نظم الدرر

(٢) نظم الدرر

الانصار وهو معطوف على المهاجرين • والتبوء النزول فى المكان ، ومنه المباءة للمنزل ونسبته الى الدار • والمراد بها المدينة ظاهر ، واما نسبته الى الايمان فباعتبار جعله مستقرا وموطنا على سبيل الاستعارة التخييلية المكنية (١) .

والتعريف فى الدار للتنويه ولتفخيم شانها كانها الدار التى تستحق ان تسمى دارا • وهى التى اعدها الله تعالى لهم ليكون تبوؤهم اياها مدحا لهم فهى الكاملة فى الدور وهى التى اعدها الله فى الازل للهجرة وهيأها للنصر وجعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بها عالية عليها فهى محل مباءة وليست موضعا يهاجر منها لبركتها وخيرها (٢) .

وكلمة الدار تطلق على البلدة وعلى الصقع وعلى المنزل — اعتبارا بسعة ورائها الذى لها بالحائط وتطلق الدار على القبيلة وعلى الدنيا • (٣)

---

(١) نظم الدرر بتصرف — الالوسى ٢٨/٥١

(٢) نظم الدرر ، الزمخشرى ص ٤٨٣ ، روح المعانى ٢٨/٥١

(٣) لسان العرب ٤/٢٩٦ — مقاييس اللغة ٢/٣١١ — مفردات الراغب ٢٥١

ولما كان المراد الايلاغ في مدحهم قال مضمنا (يتبوأ) معنى لازما : ((والايمان) أى ولابسوه وصحبوه وخصوه بالصحبة ولزموه لزوما هو كلـــــزوم المنزل الذى لاغني لصاحبه عنه .

٢ ـ وقيل : ان الكلام من باب ـ علفتها تبنا وماء باردا ـ أى وجعلـــوا الايمان مستقرا لهم ومنوطـا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه اى تبوأوا الدار وأخلصوا الايمان (١) .

٣ ـ وقيل التبوء مجاز مرسل عن اللزوم وهو لازم معناه فمآنه قيل لزمـــوا الدار والايمان .

٤ ـ وقيل في توجيه ذلك ان ـ أل ـ في الدار للعهد ، والمراد دار الهجرة وهي تغنى غناء الاضافة .

وفي "والايمان" حذف مضاف اى دار الايمان فكأنه قيل تبوؤا دار الهجـــرة ودار الايمان على ان المراد بالدارين المدينة .

٥ ـ وقيل ان الايمان مجاز عن المدينة ســمى محل ظهور الشيء باسمه مبالغة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان (٢) .

وانما اصبحت دار ايمان باقامة رسـول الله صلى الله عليه وســلم فيها ، فلم يكن قبله لها قيمة لا حضاريـة ولا قياديـــة ولا غير ذلـك ، بل كـــان

---

(١) هو رأى الزمخشرى ٨٣١٤ .

(٢) الالوســي ٥٢/٢٨

ابو السعود ٣٠٤/٥ .

الكشف ٨٤/٤

نظم الدرر

الاوس والخزرج يتقاتلون فيما بينهم وبين اليهود ، وكانت بها الحمى فلما جاء رسول الله شرفها بالايمان ودعا لها بالبركة فكانوا جنود الله يحاربون مع رسوله وينصرون دينه ويعلون كلمته لذلك استحقوا الثناء لاتصافهم بالنصرة بالفضل .

(من قبلهم) اى : من قبل هجرة المهاجرين لان وصفهم بالهجرة لم يكن الا بعد ايجادها .

والانصار جمعوا التمكن في الايمان في الدار من قبل ان يجتمع المهاجرون فيها بالهجرة . (١)

والاية تدل على تقدم تبوئ الانصار وايمانهم على تبوئ المهاجرين وايمانهم . ويكفي في تقدم المجموع تقدم بعض اجزائه ولا تدل على تقدم الانصار على المهاجرين في الايمان اطلاقا . وانما تدل على سبقهم اياهم في التمكن فيه لانهم لما امنوا لم ينازعوا فيه لما اظهروه (٢) .

ولما ابتدأ ذكرهم هذا الابتداء الجليل اخبر عنهم بقوله : (يحبون) : اى على سبيل التجديد والاستمرار (من هاجر) وزادهم محبة فيهم وعطفا عليهم بقوله : (اليهم) لان القصد الى الانسان يوجب حقع عليه لانه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد اليه . والدليل الشهودى على ما اخبر الله عنهم به من المحبة انهم

---

(١) روح المعاني ٢٨/٥٢ ، السقوطبي ٨/٦٥٠٠ ، نظم الدرر

(٢) التفسير الكبير ٢٩/٢٨٧ .

شاطروا المهاجرين في اموالهم وعرضوا عليهم ان يقاسموهم نساءهم على شدة غيرتهم فابي المهاجرون المشاطرة في النساء وقبلوا منهم الاموال (١) .
والجملة في موضع الحال من الموصولة ، وقيل استئناف (٢) .

ولما وصفهم بالمحبة ورغبهم في اداء حقها عطفا على هذا الخبر ما هو من ثمراته فقال : (ولا يجدون) أى أصلا (في صدورهم) : التي هي مساكن قلوبهم فتصدر منها اوامر القلوب فضلا عن ان تنطق السنتهم . (حاجة) أى حسدا وحرارة وغيظا مما اوتي المهاجرون من دونهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحرارة . لان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية او اسم السبب على المسبب .

والمعنى لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من مال الفيء وغيره وفيه تقدير حذف مضافين المعنى : من حاجة من فقد ما اوتوا . وكل ما يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة (٣) .

---

(١) نظم الدرر بتصرف : روى البخارى بسنده قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع اني اكثر الانصار مالا فاقسم لك نصف مالي وانظر اى زوجتي هويت نزلت لك عنها فاذا حلت تزوجها ـ الحديث فقال عبد الرحمن لا حاجة لي في ذلك ـ الحديث كتاب البيوع .

(٢) روح المعاني ٢٨/٥٢ .

(٣) التفسير الكبير ٢٩/٢٨٧ ـ نظم الدرر للبقاعي ـ القرطبي ٨/٦٥٠٢ .

وقد يراد المعنى : (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتو) : اذا كان قليلا بل يقنعون به ويرضون عنه • وقد كانوا على هذه الحالة حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم دينا ثم كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه وسلم بحكم الدنيا اهـ (١)

ولما لم يجد الانظر في نفوسهم على المهاجرين بسبب ما اكرمهم الله به من اموال بنى النضير على يد رسوله ، وكانوا في الحاجة سواء لكنهم كتموا فقرهم ورضوا بما عند الله مدحهم فقال : (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا) اى المهاجرون من الفيء وغيره من اموال بنى النضير وغيرهم من اى موءت كان فكيف اذا كان الموءتى هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم •

فهذه الاية من اعظم حاث على حسن الخلق والتحلي بالاخلاق الفاضلة وفيها تنفير عن الحسد وغيره من الاخلاق الذميمة • (٢)

ولما اخبر عن تخليهم عن الرذائل اتبعه الاخبار بتحليهم بالفضائل فقال :

(ويوءثرون على انفسهم) : عظم ذلك بقصر الفعل فصار المعنى يوقعون الاثرة وهي

---

(١) القرطبي ١٨ ٦٥٠٢ •

(٢) نظم الدرر بتصرف •

اختيار الاشياء الحسنة لغيرهم كائنا من كان وذكر النفس دليل على انهم في غاية النزاهة من الرذائل لان النفس اذا طهرت كان القلب اطهر .

(يؤثرون) :: من الايثار والمعنى يقدمون المهاجرين لان الايثار معناه : التخصيص يقال : آثره بكذا اذا خصه به ، ومفعول الايثار محذوف ، والتقدير: يؤثرون باموالهم ومنازلهم على انفسهم (١) . والاثرة في اللغة هي : ضد الايثار . فالايثار هو تقديم الغير على النفس في الحظوظ الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية (٢) وادناه ان يجود بما يزيد عن حاجته الضرورية على المحتاج ، واعلاها ان يجود بما هو في حاجة اليه الى من هو احوج منه . وفي السيرة ما يدل على وصف الانصار بهذا الخلق الرفيع (٣) . والاثرة تقديم النفس في الحظوظ الدنيوية دون التفات الى ما عند الله ، يقال : استأثر بالشيء اذا استبد به (٤) .

واكد ذلك بقوله : (ولو كان بهم خصاصة (اى فقر في الاموال وخلل في الاحوال وحاجة شديدة محيطة بهم من كل جانب . وخصاص البناء ـ بفتح الخاء المعجمة بعدها مهملتين مفتوحتين بينهما الف ـ فرجه وهو في اللغة مشتق من الخصاص وهي الفرج ، وكل خرق في منخل او باب او سحاب او برقع فهي خصاص ، مفرده خصاصة (٥) والمعنى ولو كان بهم فقر شديد والجملة في محل نصب حالية . وفي الآية اشارة لطيفة الى شدة حاجتهم الى المال مع جودهم به .

---

(١) نظم الدرر ـ التفسير الكبير ٢٩/ ٢٨٧ ـ ابو السعود ٥/ ٣٠٤ .

(٢) احكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٧٦٥ .

(٣) مثال الاول قصة عبد الرحمن بن عوف ومثال الثاني قصة ضيفي النبي اللذين استظفهما احد الصحابة فاطفأ النور واشعر ضيفه بانه ياكل وتركه ياكل بشهية بعد ان امر زوجته ان تنوم الاطفال ، كل ذلك فعله رغبة فيما عند الله .

(٤) لسان العرب ٤/ ٨ ـ مختار الصحاح ص٥ ـ مفردات الراغب الاصبهاني ٩ ـ مقاييس اللغة ١/ ٥٤ .

(٥) لسان العرب ٧/ ٢٥ ـ مفردات الراغب ٢١٤ ـ مختار الصحاح ١٧٧ .

ولما كان التقدير فمن كان كذلك انه من الصادقين عطف عليه قوله (ومن) ولما كان المقصود النزاهة من اى جهة كانت وكان علاج الرذائل صعبا جدا لا يطيقه الانسان الا بمعونة شديدة من الله بنى للمفعول قوله (يوق شح نفسه) اى يحصل بينه وبين اخلاقه الذميمة المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون مانعا لما عنده حريصا على ما عند غيره .

قال صلى الله عليه وسلم : اتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (١) .

والشح في الله : هو اللؤم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها . قال تعالى (واحضرت الانفس الشح) ـ النساء ١٢٨ ـ

واما البخل فهو المنع نفسه والشح : البخل مع حرص (٢) .

قال الفخر الرازى : واعلم ان الفرق بين الشح والبخل هو ان البخل نفس المنع والشح : هو الحالة النفسانية التي تقتضى ذلك المنع ،فلما

---

(١) نظم الدرر ، والحديث اخرجه مسلم في كتاب البر باب تحريم الظلم وأحمد حنبل في مسنده ـ ٢/ ١٦٠ .

ابو السعود ٥/ ٣٠٥ التفسير الكبير ٢٩/ ٢٨٧ الكشاف ٤/ ٨٣ .

(٢) لسان العرب ٢/ ٤٩٥

مفردات الراغب ٣٧٥

مقاييس اللغة ٣/ ١٧٨

القرطبي ٨/ ٦٥٠٩

كان الشح من صفات النفس لا جرم قال تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما اراد وا (ومن لم ياخذ شيئا نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد وقى شح نفسه أ هـ) (١) .

وتبين من كلام هذا المفسّر ان الشح اخص من البخل فالشح اخذ لما لم ياذن به الله ومنع لما امر به الله اما البخل فهو امساك المال وعدم انفاقه في الحاجات الضرورية وقد يكون الدافع الى البخل والشح حب المال والرغبة في تحصيله الا ان في الشح طغيان لحب المال على حب النفس اما البخل فلا يصل الى هذا الحد .

قوله : (فأولئك) : اى العالو المنزلة (هم) اى خاصة (المفلحون) اى الحاملون في الفوز بكل مراد .

وأصل الفلاح في اللغة مشتق من الفلح وهو القطع والشق ،قال الشاعر : (ان الحديد بالحديد يفلح) . اى يشق ومنه فلاحة الارض انما هو شقها للحرث قاله ابو عبيد ولذلك سمى الاكار فلاحا . ويقال للذى شقت شفته السفلى افلح وهو بين الفلحة . والفلاح ياتي بمعنى الظفر والفوز (٢) .

ومن هنا تظهر المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحي :

---

(١) التفسير الكبير ٢٩/ ٣٨٨ .

(٢) لسان العرب ٢/ ٥٤٧

مفردات الراغب ٥٧٩

مقاييس اللغة ٤/ ٤٥٠

الكشاف ٤/ ٨٣ .

فان معناه في اللغة الظفر والفوز وهذا المعنى موجود في الشرع فان المفلح في كتاب الله من فاز بالجنة ورضوان الله ، وهو قد فاز بالبقاء في النعيم والخير ايضا قد قطع المصاعب والمشاق حتى نال مطلوبه .

قال القشيرى : وتجرد القلب من الاعواض والاملاك صفة السادة الاكابر ، ومن اسرته الاخطار وبقي في شح نفسه فهو في تضييقه وتدنيقه وهو في مصادقته ومعاملته ومطالبته مع الناس دائما يبحث في استيفاء حظوظه واهل الصفاء لم تبق عليهم من هذه الاشياء بقية .(١)

ولما اثنى سبحانه على المهاجرين والانصار بما هم اهله لقن التابعين لهم باحسان بما يوجب لهم الثناء فقال عاطفا على المهاجرين فيقتضى التشريك معهم اوعلى اهل القصة من عطف الجمل : (والذين جاءوا) اى من اى طائفة كانوا .

ولما كان المجيء ولو في زمن يسير اثبت الجار فقال (من بعدهم) اى : من بعد المهاجرين والانصار وهم من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح لقوله عليه السلام : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .

وبعد ايمان الانصار الذين اسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة (٢) .

---

(١) لطائف الاشارات ٦/ ١٢٧ .

(٢) نظم الدرر ، والحديث اخرجه البخارى في كتاب الايمان باب ما جاء في أن الاعمال بالنية والجهاد باب لا هجرة بعد الفتح وابو داود في كتاب الجهاد وسلم في كتاب الامارة باب المبايعة بعد فتح مكة والترمذى في كتاب السير والنسائي في كتاب البيعة واخرجه احمد في مسنده ٥/ ١٨٧ وعبد الله الدارمي في مسنده .

ثم ذكر الخبر على نحو ما مضى في الذى قبله فقال : (يقولون) : اى على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لايمانهم بدعائهم لمن سنه لهم : (ربنا) اى ايها المحسن الينا بايجاد من مهد الدين قبلنا • والرب في لغة العرب : المربى وانما سمى الله ربا لانه يربى عباده بالنعم • ولا يقال الرب مطلقا الا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات واذا اطلق على غيره اضيف • وهو يطلق على السيد والمدبر والمالك والمنعم والقيم والله سبحانه وتعالى مالك الخلق وسيدهم والمنعم عليهم • لذلك وجب اطلاق الرب عليه وحده (١) واما غيره فبالإضافة •

ولما كان الانسان وان اجتهد موضعا للنقصان قال ملقنا لنا (اغفر لنا) اى اوقع ستر النقايص اعيانها واثارها • واصل الغفر في اللغة : الستر والتغطية وكل شيء سترته فقد غفرته (٢) •

ولما بدأوا بانفسهم ثنوا بمن كان السبب في ايمانهم فقالوا (ولاخواننا) اى في الدين فانهم اعظم اخوة وبينوا العلة بقولهم : (الذين سبقونا بالايمان)

---

(١) نظم الدرر
لسان العرب ١/ ٤٠٠
مفردات الراغب ٢٦٩

(٢) نظم الدرر
لسان العرب ٥/ ٢٥
مفردات الراغب ٥٤٦
مقاييس اللغة ٤/ ٣٨٥
مختار الصحاح ٤٧٦

ولما نعتهم سبحانه حسن الخلافة لمن مهد لهم ما هم فيه اتبعهم تلقين ما يعاشرون به اعضادهم الذين هم معهم على وجه يعمهم من قبلهم فقال معلما بان الامر كله بيده حثا على الالتجاء اليه من اخطار النفس التي هي اعدى الاعداء : (ولا تجعل) : وافهم قوله (في قلوبنا) : ان رذائل النفس قل ان تنفك وانها وان كانت مع صحة القلب اوشك ان لا تؤثر . (غلا) اى بغضا وحسدا وهو حرارة وغليان يوجب الانفعال . لان الغل ـ بالكسر ـ الغش والضغن والعداوة . يقال : غل صدره يغل ـ بالكسر ـ غلا اذا كان ذا غش او ضغن او حقد (١) .

(للذين امنوا) : اى اقروا بالايمان وان كانوا في ادنى درجاته ولما كان هذا دعاء جامعا للخير لقنهم ما يحثهم في لوازمه والتخلق به مع ما فيه من التملق الا له والتعريض له بقوة الرجاء فقال : (ربنا) اى ايها المحسن الينا بتعليم ما لم نكن نعلم واكدوا اعلاما بانهم يعتقدون ما يقولونه

---

(١) نظم الدرر

لسان العرب ١١/ ٤٩٩

مفردات الراغب ٤٤٤

مختار الصحاح ٤٧٩

وان ظهر من افعالهم ما يقدح في اعتقادهم ولو في بعض الاوقات فقالوا :

(انك رؤوف) اى ارحم اشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة من افعال الخير (١) والرأفة في اللغة اشد الرحمة واخص وأرق (٢) .

(رحيم) مكرم غاية الاكرام لمن اردت ولو لم تكن له وصلة من افعال الخير . والرحمة : في اللغة الرقة والتعطف (٣) .

جمعوا بين وصفي الرافة والرحمة لينالوا الخير من اطرافه ، فان كانوا محسنين فقد استحقوا الاجابة لهذين الوصفين وان كانوا غير ذلك فرحمة الله تدركهم لانه رحيم فكانهم قالوا : انت جدير بان تجيب الاثنين ان تكون لنا وصلة فنكون من اهل الرأفة اولا نكون من اهل الرحمة (٤) .

---

(١) نظم الدرر

(٢) لسان العرب ٩/ ١١٢
مختار الصحاح ٢٢٦
مفردات الراغب ٣٠٣
احكام القرآن جـ٢ / ٨٠١

(٣) مختار الصحاح ٢٣٨
ابن قتيبة غريب القرآن ص٦
نظم الدرر
مفردات الراغب ٢٧٩
لسان العرب ١٢/ ٢٣٠
احكام القران جـ ٢/ ٨٠١

(٤) نظم الدرر

وافاد ت هذه الايـة وجوب محبة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليهم لانهم بلغوا الدين فهم خير الناس كمالا وخلقا وعدالة والقدح فيهم قدح في الشريعة واتهام لها .

وافاد ت هذه الايـة ان من كان في قلبه غل على احد من الصحابة رضي الله عنهم فليس ممن اخبر الله بهذه الايـة .

لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما اقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن سبهم فلاحق له في الفيء (١) .

ولما د ل على ان هذا الثناء للصادقين في الايمان باقامة البينة بالهجرة والايثار والاجتهاد في الدعاء لمن سن الايمان لهم طريق الايمان ، فاخرج بذلك المنافقين وافهم انهم لا يفعلون ذلك لانهم لا رسوخ لهم في الايمان اذ لو كان لهم رسوخ فيه

---

(١) نظم الدرر بتصرف القرطبي : ٨ / ٦٥١١

لحملهم ذلك على فعل ما فعله المؤمنون ، على اختلاف درجاتهم رغم وضوح الحق ناصعا براقا ، ورغم مما يرون من حال المؤمنين من أسباغ الرحمة عليهم ، بتسهيل الامور والنصرة على الجبابرة ، والاعراض عن الدنيا مع الاقبال على الاخرة ، والاجتهاد في الدين الذى هو وحده داع الى الايمان ، وموفق القلوب ، ومبين للحقائق غاية البيان .

فقال موجها الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتباره المبلغ عنه وفي ذلك حض للمؤمنين على التفكير والاعتبار بحال اولئك القوم الذين اعمى الباطل بصائرهم (١) .

فقال : (ألم تر) اى تعلم علما هو في قوة الحزم به كالمشاهد ايها المخاطب ومن بعدهم عن جناية المالى ومنبه الشريف بأداة الانتهاء فقال (الى الذين نافقوا) : اظهروا غير ما أضمروا . اظهروا الخير وبالغوا في اخفاء عقائدهم الباطلة ، وهم عبد الله بن ابي بن سلول وأصحابه (٢) .

---

(١) نظم الدرر مع بعض التصرف .

(٢) المرجع السابق .

والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام بالمعنى المخصوص به وهو الذى يستر كفره ويظهر ايمانه . وهو استعارة من فهل الضب مشتق من نافقاء وهو حجر اليربوع . ومنه اشتقاق النفاق لان صاحبه يكتم خلاف ما يظهر فكأن الايمان يخرج منه ، اويخرج هو من الايمان في خفاء (١) .

ثم صور حالهم بقوله : (يقولون لاخوانهم) : في الموالاة والضلالة . لان الاخ هو المشارك الاخر اما في النسب واما في العقيدة او النصرة والموالاة (٢) .

ولما جمعهم في الكفر وان افترقوا في المسارّة به والمجاهرة وصف المساترين بنوع مجاهرة توجب النضرة منهم ، وتقضي بهلاك من صادقهم ، فقال :

(الذين كفروا) : واصل كلمة الكفر نقيض الايمان وهو مشتق من الستر والتغطية والكافر الليل المظلم لانه يستر بظلمته كل شيء . والكافر ستر نعمة الله عليه

---

(١) لسان العرب ١٠/ ٣٥٨ — مفردات الراغب ٧٦٥

مقاييس اللغة ٥/ ٤٥٥ — مختار الصحاح ٦٧٤

(٢) مفردات الراغب ١٣ — لسان العرب ٣/ ٢

مختار الصحاح .

فلم ينتفع بالهداية والارشاد (١) . فهؤلاء غطوا انوار المعارف التي دلتهم على الحق ودينهم فبالغ في ذمهم حيث انهم ضلوا على علم ، فقال :

(من اهل الكتاب) وهم بنو النضير هؤلاء ، ويكشهم بكذبهم فيما اكدوا الوعد به لانه في حيز ما ينكر من جهة انهم لا يقدرون على المجاهرة بكفرهم فكيف بالمبارزة ، ولخلاف لقومهم الانصار ، والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم في قولهم : (لئن اخرجتم) من مساكنكم في المدينة الشريفة فخرجتم من غير ان تقاتلوا ، (لنخرجن معكم) تنصركم وندافع عنكم (٢) .

ولما كان من المعلوم ان للمنافقين اقارب من اكابر المؤمنين ، وكان من المعلوم انهم يقومون عليهم في منعهم من القيام معهم نصيحة لهم ، واحسانا اليهم ، قالوا مؤكدين للكون معهم : (ولا نطيع فيكم) اى في خذلانكم احدا مهما كان عزيزا او قريبا ، فكأنهم قد اعطوهم المواثيق على الحماية وبقيت النصرة

---

(١) لسان العرب ٥/ ١٤٤

مفردات الراغب ٦٥٣

مقاييس اللغة ٥/ ١٩١

مختار الصحاح ٥٧٤

(٢) نظم الدرر .

في الحرب (احدا) يسألنا خذلانكم ايا كانت معزته واحترامه وحبه واكدوا بقولهم (ابدا) اى ما دمنا نعيش احياء قادرين ومثل هذا العزم استحق الكافر الخلود الابدى في العذاب (١) .

ولما قدموا في معاونتهم ما كان فعلا قاضيا عليهم اتبعوا قولهم : (وان قوتلتم) : اى من اى مقاتل كان فقاتلتم ولم تخرجوا (لننصرنكم) — وفي الاية احتباك : ذكر الاخراج اولا دليلا على ضده ثانيا والقتال ثانيا دليلا على ضده اولا . وهو في اللغة الاحتباء وهو شد الازار ويطلق على احكام الشيء في امتداد واطراد يقال بعير محبوك القرى — بفتح القاف والراء — اى قويه ومنه (والسماء ذات الحبك) اى ذات الخلق الحسن المحكم .

ومعنى الاية : ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل الى بني النضير اخرجوا من بلدى فلا تساكنوني وقد هممتم بالغدر بي وقد اجلكم عشرا فمن روءى بعد ذلك منكم قطعت عنقه فارسل اليهم ابن ابي بما تقدم : من الحض على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والبقاء في المدينة ومقاتلة المسلمين (٢) .

ولما كان قولهم هذا كلاما يقضى عليه سامعه بالصدق لكنه موكدا فقد جاء مبتدئا من غير سؤال فيه وتعهد له بما ذكرته الاية من النصرة والمساعدة (والله) اى يقولون ذلك والحال ان المحيط بكل شيء قدرة وعلما (يشهد)

---

(١) نظم الدرر بتصرف .

(٢) المرجع السابق — وقد سبق تخريج الحديث .

بما يعلم من بواطنهم في عالم الغيب لكن العباد لا يعلمون فكأنهم لجهلهم ينكرون هذا الواقع الذى يتحقق فاكده زيادة في طمأنينتهم ، لما يعلم من حال بواطنهم في عالم الغيب ، ذلك ان اخلافهم فيه متحقق في علم الله اطلق عليه ما لا يطلق الا على ما كشف الواقع انه غير مطابق للواقع فقال تشجيعا للمؤمنين على قتالهم (١) مؤكدا (انهم) اى - المنافقين (لكاذبون) :

وهذا من اعظم دلائل النبوة لانه اخبار بمغيب بعيد عن العادة بشهادة (ما ظننتم ان يخرجوا) فحققه الله عن قرب .

ولما كان الكذب في قولهم هذا كونه اخبارا بما لا يكون شرحه بقوله مؤكدا بتاكيد اعظم من تاكيدهم (لئن اخرجوا) : اى بنو النضير من اى مخرج كان (لا يخرجون) اى المنافقون (معهم) اى حمية لهم لاسباب يعلمها الله "(ولئن نصروهم) اى اليهود من اى مقاتل كان ،فكيف باشجع الخلق واعلمهم صلى الله عليه وسلم (ليولن الادبار) اى المنافقون :

ولقد صدق الله ، وكذبوا في الامرين معا من القتال والاخراج لا نصروهم ولا خرجوا معهم ، فكان ذلك من اعلام النبوة ، وعلم به من كان فضلا عن الموقنين بصدق الكلام على ما لم يكن (٢) .

---

(١) نظر الدرر بتصرف .

(٢) المرجع السابق .

ذلك ان الله ... ه مستحقق الوقوع ، لعلمه المحيط وقدرته النافذة : وقد اقام الدليل على ذلك بامور شاهدها المخاطبون وغيرهم ، كانت غيبا فاظهره الله الى الحسن . (ولئن نصروهم) : اى المنافقون في وقت من الاوقات ـ (ليولن) : اى المنافقون ومن ينصرونه وحقرهم بقوله (الادبار) حيث ان دبر كل شيء مؤخره خلاف القبل وتولية الادبار كناية عن الانهزام (١) .

ولما كان من عادة العرب الكر بعد الفر بينهم انهم لا كرة لهم بعد هذه الفرة وان طال المدى فقال (ثم لا ينصرون) اى : لا يتجدد لفريقهم ولا لواحد منهم نصرة في وقت من الاوقات وقد صدق سبحانه لم يزل المنافقون واليهود في الذل ولا يزالون (٢) .

ولما كان ربما قيل تركهم لنصرتهم انما هو لخوف الله او غير ذلك ، مما يحسن وقعه ، علل بما ينفي ذلك ويظهر ان نظرهم المحسوسات كالبهائم فقال مؤكدا له : (لانتم) ايها المؤمنون (أشد رهبة) اى من جهة

---

(١) لسان العرب ٤/٢٦٨ اساس البلاغة ١٨٢
مفردات الراغب ٢٣٧ مقاييس اللغة ٢/٣٢٤

(٢) نظم الدرر .

الرهبة • وهو تمييز محول عن المبتدأ أى لرهبتكم الكائنة أشد ، وعظمها بقوله :

(في صدورهم) أى : المنافقين ومن ينصرونهم مما فاض اليهما من قلوبهم (من الله) اى : من رهبتهم التي يظهرونها لكم منه ، وان ذكروه بكل صفة من صفاته فرهبتهم سبب لاظهارهم انهم يرهبون الله رياء لكم (١) .

والرهبة في اللغة هي : مخافة مع تحرز (٢) .

ولما كان هذا مما يتعجب منه المؤمن علله بقوله : (ذلك) اى : الامر الغريب وهو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف لا يؤبه له ، وعدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة في ذاته ولكونه غنيا عنهم (بانهم قوم) اى على ما لهم من القوة (لا يفقهون) : اى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم في وقت من الاوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به ان الله هو الذى ينبغى ان يخشى لا غيره ، بل هم كالحيوانات لا نظر لهم الى الغيب ، انما هم مع المحسوسات (٣) .

---

(١) نظم الدرر

(٢) لسان العرب ٤٣٦/١ مفردات الراغب ٢٩٧

مقاييس اللغة ٤٤٧/٢

(٣) نظم الدرر •

والفقه هو العلم بمدلول الكلام ظاهره الجلى وغامضه الخفى ، لسرعة فطنة وهورة قريحة وهو في اللغة : الفهم والتوصل الى علم غائب بعلم شاهد يقال فقه الرجل - بالكسر - اذا فهم وفقه - بالضم - اذا صار فقيها وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه على سائر العلوم ، ومعنى فقه ادرك الشيء وعلم به (١) .

ولما اخبر برهبتهم دل عليها بقوله : (لا يقدتلونكم) اى : كل من الفريقين اليهود والمنافقين او احدهما ، ولما كان الشيء قد يطلق ويراد به بعضه حقق الامر بقوله : (جميعا) مجتمعين اى : لا يقصدون قتالكم مجاهرة وهم مجتمعون كلهم ، في وقت من الاوقات ومكان من الاماكن : (الا في قرى محصنة) اى محصنة بحفظ الدروب ، وهي السكك الموصدة بالابواب والجنود يجتمعون بها يحرسونها ويمنعون المسلمين من الوصول اليها ، لشدة خوفهم وقد اخرج بهذا ما حصل من بعضهم عن ضرورة كاليسير ممن كان ينزل من اهل خيبر ، من الحصن يبارز ونحو ذلك ، فانه لم يكن عن اجتماع او يكون هذا خاصا ببنى النضير في هذه الكرة (٢) .

---

(١) لسان العرب ١٣/٥٢٢ مفردات الراغب ٥٧٧

مختار الصحاح ٥٠٩ مقاييس اللغة ٤/٤٤٢

(٢) نظم الدرر بتصرف .

ولما كان ربما ظن ان هذا عن عجز منهم لازم لهم ، دفعه بقوله اعلاما بانه انما هو من معجزات هذا الدين (بأسهم) اى قوتهم وما فيهم من الصفات .

وهو في اللغة الشدة في الحرب يطلق على العذاب والبأس في الحرب العذاب الشديد (١) .

(بينهم شديد) اى : اذا رأوا رأيا او حارب بعضهم بعضا فجرأ المؤمنين عليهم بان ما ينظرونه من شدتهم وشجاعتهم اذا حاربوا المشركين يضعف عند محاربة المؤمنين ، لكرامة اكرم الله بها المؤمنين تتضمن علما من اعلام النبوة تقوية لايمانهم واعلاء لشأنهم (٢) .

ولما كانت علة الشيء الاحتياج ، شرح حالتي الشدة والرهبة بقوله : مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى شدة ما يظهرون من الف بعضهم لبعض (تحسبهم) اى اليهود والمنافقين يا محمد اويا ايها الناظر من كان لذلك التعاطف الظاهر : (جميعا) لما هم فيه من اجتماع الدفاع من ذلك نشأت الشدة . (وقلوبهم شتى) اى : مفترقة اشد افتراق وعن ذلك نشأت الرهبة .

وشتى في اللغة ماخوذة من الشت وهو تفريق الشعب يقال : جاؤا اشتاتا أى متفرقي النظام وتفتت اى تفرق جمعهم من الشت وهو الافتراق والتفريق

---

(١) لسان العرب ٦/ ٢٠ مختار الصحاح ٣٩ مقاييس اللغة ١/ ٣٢٨
اساس البلاغة ٢٧

(٢) نظم الدرر بتصرف يسير .

وأمر شـــت اى : متفرق قال الطرمـاح :

شتشعب الحي بعد التئام وشجاك الربع ربع المقام (١)

وموجب هذا الشتات : اختلاف الاهواء التي لا جامع لها من نظام العقل كالبهائم وان اجتمعوا في عداوة اهل الحق كاجتماع البهائم في الهرب من الذئب (٢) .

قال القشيرى : النفوس مع تنافر القلوب واختلافها اصل كل فساد وموجب كل تخاذل ومقتض لتجاسـر العدو ، واتفاق القلوب والاشـتراك في الهمـة والتساوى فـي القصـد يوجب كل ظفر وكل سعادة اهـ (٣) .

ولما كان السبب الاعظم في الافتراق ضعف العقل قال معللا : (ذلك) اى الامر الغريب من الافتراق بعد الاتفاق والذى يحيـل الاجتماع (بانهـم قوم) : اى مع شـدتهم (لا يعقلون) : فلا دين لهم لعلمهم انهم على الباطل فهم اسـرى الاهويـة ، والاهوية في غاية الاختلاف ، فالعقل مدار الاجتماع ، يدل عليه حـال الصحابـة رضـوان الله عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسـلم والهوى مدار الاختلاف يدل عليه حال اليهود والمنافقين (٤) .

---

(١) لسـان العرب ٢/ ٤٨ مختار الصحاح ٣٢٨

مفردات الراغب ٣٧٥ مقاييس اللغة ٣/ ١٧٨

ديوان الطرماح ص ٩٥ واللسان مادة شتت

(٢) نظم الدرر

(٣) لطائف الاشـارات جـ ١٦ ص ١٣١ .

(٤) نظم الدرر بتصرف .

ثم دل على ضعف عقولهم وعدم فقههم الذي نشأ عنه اخراجهم ، وما سببه من مكرهم وغدرهم واعتمادهم على ابن ابي ومن معه من المنافقين بدليل مشاهد فقال : (كمثل الذين من قبلهم) يعيد الى اذهان المخاطبين ، واقعة معينة شاهدوها ولمسوا اثارها ، ليستدل بالحاضر على الغائب ، فماذا حدث لاولئك يقول عز وجل (فريبا ذاقوا وبال امرهم) (١) .

وهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : بنو قينقاع من اهل دينهم اليهود واظهروا بأسا شديدا عندما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في اثر غزوة بدر فوعظهم وحذرهم بأس الله فقالوا : لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم اما والله لو قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس ، ثم مكروا بامرأة من المسلمين فأرادوها على كشف وجهها ، فأبت فعقدوا طرف ثوبها من تحته بجارها ، فلما قامت انكشفت سوأتها فصاحت فغار لها شخص من الصحابة رضي الله عنهم ،فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه ، فانتقض عهدهم ، فانزل النبي صلى الله عليه وسلم بساحتهم جنود الله ،فأذلهم الله ونزلوا من حصنهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفاء ابن ابي ولم يغن عنهم شيئا ، غير انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في ان لا يقتلهم والح عليه حتى كف عن قتلهم ، فذهبوا عن المدينة الشريفة بانفسهم من غير حشر لهم بالالزام (٢) .

---

(١) نظم الدرر بتصرف .

(٢) نظم الدرر تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٠

تفسير القرطبي ٨/ ٦٥١٥ سيرة ابن هشام ٢/ ٩٧ ٤

طبقات ابن سعد ٣/ ٦٧ .

فكأنه قيل ما ذا كان خبرهم : (ذاقوا وبال) ومعناه وخامة وسوء عاقبة (امرهم) : في الدنيا وهو كفرهم ، وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه الذين هم حزب الله ، فبيتوا الغدر والمكيدة واغتروا بقوتهم فما اغنت عنهم من الله شيئا ،

(ولهم) اى في الاخرة (عذاب اليم) اى : مؤلم شديد الايلام (١) ،

وتنتقل الايات مرة ثانية الى الحديث عن المغيبات تحقيقا للواقع ، وتشبيها للصور فبعد ان شبه بني النضير ببني قينقاع ليبين سوء حالهم في الدنيا والاخرة ، شبه الجميع في عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه واهل الحق وتماديهم في غيهم ، بعداوة الشيطان الذى لا ينفك عن الشر دأبه الغواية ومنهجه الضلال ،

فبنو النضير وبنو قينقاع بعيدون عن اهل الحق ، والشيطان كذلك ،

وهؤلاء يحسدون المسلمين والشيطان كذلك ، وهؤلاء قد احترقت اكبادهم من الحقد والكراهية والشيطان كذلك شبه صورة بصورة فقال :

(كمثل الشيطان) اى : مثل الكل الواعدين بالنصر والمغترين بوعدهم مع علمهم ان الله كتب في الذكر لاغلبن أنا ورسلي - في اخلافهم الموعد واسلامهم اياهم عند ما حق الامر ، شبه مثل (الشيطان) اى

---

(١) نظم الدرر بتصرف ،

البعيد عن كل خير ببعده من الله ، المحترق بعداوته والشيطان هنا مثل المنافقين .

وهو في اللغة : - فيعال - من شطن او من شاط اذا بعد ، وسمي بذلك لبعده عن الحق وتمرده ورجل شاطن خبيث ، وكل عات متمرد من الانس والجن او الدواب شيطان (١) .

(اذ قال للانسان اكفر) اى : كل من فيه بؤس واضطراب ، وهو هنا مثل اليهود والعامل في اذ محذوف اى (اكفر بالله) بما زين له ووسوس اليه من اتباع الشهوات القائم مقام الامر ، وبما ان في الانسان غرائز وشهوات تعين عليه وتقبل اغواءه يطيع امره غالبا (٢) .

(فلما كفر) اى : وجد من الانسان الكفر على اى وجه كان ، ودلت الفاء التي هي للتعقيب والفور على اسراعه في متابعة تزيينه . (قال) اى : الشيطان مشابهة للمنافقين متنكرا لمن تعلق بوعده فاعتمد عليه ونسي من هو اقوى منه : (اني بريء منك) اى ليس بيني وبينك علاقة في شيء أصلا ظنا منه ان هذه البراءة تنفعه شيئا مما استوجبه الآمر والمأمور بقبوله لأمره وفي ذلك اخبار عن انه يعرض عنه ويتنكر له في اوقات الشدة وكذلك فعل المنافقون بتباطؤهم عن بني النضير فعل المتبرىء منهم ، وكان ذلك

---

(١) لسان العرب ١٣/ ٢٣٨ مقاييس اللغة ٣/ ١٨٤

مختار الصحاح ٣٣٨ مفردات الراغب ٣٨٣

(٢) نظم الدرر بتصرف .

اشد عليهم من عدم طمعهم في نصرهم لان هذا بمنزلة انهزامهم عنهم من الصف الموجب لانهزامهم لا محالة (١) .

ثم علل البراءة بقوله : (اني اخاف الله) اى : الملك الذى لا أمر لاحد معه فلا تطاق صولته . ثم شرح ذلك بقوله : (رب العالمين اى : الذى اوجدهم من العدم ورباهم بما يدل على جميع الاسماء الحسنى والصفات العلى فلا يغنى احد من خلقه عن احد شيئا الا باذنه وهو لا يغفر اصلا لمن يقدح في ربوبيته ولا سيما ان نسبها الى غيره وكان هذا تمثيل الانسان بعد الوقوع في المعصية من الندم والحسرة ، فاذا وجد ذلك وهم بالتوبة زين له الشيطان المعصية ، وصعب عليهم امر التوبة وعسرها وجرأه على المعصية بعينها ، او على ما هو اكبر منها ، ولا يزال كذلك حتى يتعذر عليه الرجوع ، فيتحقق هلاكه وهلاك من اوقعه ، فلذلك سبب عنه قوله : (٢) (فكان عاقبتهما) :

والعاقبة في اللغة هي اخر كل شيء ويختص اطلاقها بالثواب نحو قوله : (ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى) ـ الروم ١٠ ـ والمراد هنا العقوبة والجزاء على ما فرطوا (٣) .

---

(١) نظم الدرر بتصرف

(٢) المرجع السابق .

(٣) لسان العرب ٦١٢/١ مقاييس اللغة ٧٧/٤

مختار الصحاح ٤٤٣ مفردات الراغب ٥٠٩

ونلاحظ انه قدم خبر كان ترويعا للمخاطبين وحضا لهم على التفكير في السبب الذى ادى الى هذه العاقبة السيئة المبينة في قوله (انهما في النار خالدين) .

والكناية تعود الى الغار والمغرور ، ويدخل في ذلك المنافقون وبنو النضير والشيطان دخولا اوليا باعتبار ان كلا منهم زين لصاحبه سوء عمله ، وشجعه على الاستمرار في الغواية ، (انهما في النار) حالة كونهما (خالدين فيها) اى : ماكثين فيها مكوثا مؤبدا جزاء لهم على ما كسبت ايديهم ، فقد ظلموا ظلما لا فلاح بعده . لذلك علق الحكم على الوصف ، ليدل على السبب الذى ادى الى هذه العاقبة السيئة . فقال (وذلك) اى : العذاب الاكبر الدائم (جزاء) عقوبة (الظالمين) فهؤلاء احبوا اعداء الله ، ووالوا ـ الشيطان وتنكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا ظالمين فاستحقوا العذاب .

والظلم في اللغة : يطلق ويراد به وضع الشيء في غير موضعه يقال ظلم السقاء اذا شرب لبنه قبل وقته ـ ويعنى الظليم ـ ومن امثال العرب ـ من استرعى الذئب فقد ظلم ـ اى وضع الشيء في غير موضعه ويقال : ـ من اشبه اباه فما ظلم ـ اى لم يضع الشبه في غير موضعه (١) .

واستعمل في الشرع في معنى الشرك ومنه قوله : (ان الشرك لظلم عظيم) ـ لقمان ١٣ ـ وقوله : (الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) ـ الانعام ٨٢ ـ والظالمون هم الذين وضعوا العبادة في غير موضعها اللائق بها .

---

(١) لسان العرب ١٢/ ٣٧٣ مقاييس اللغة ٣/ ٤٦٨ مختار الصحاح ٤٠٥ مفردات الراغب ٤٧٠ اسرار البلاغة ٤٠٤

وفي نهاية المطاف مع هذه الصورة يجيء وقت الوعظ والارشاد ، بعد القصص المتنوعة الحافلة بما يرقق القلب ويهذب الشعور ، ويقوي في النفس الصلة بالله ، والشعور بعظمته وقدرته ، لذلك فوجه في الخطاب الى الذين اتصفوا بصفات التصديق والخضوع لله فقال :

(يا ايها الذين امنوا) فاستعمل في مناداتهم "يا" التي هي لنداء البعيد ، ليشعرهم بوجوب التقرب الى الله ، بالايمان به وما يتبع ذلك من عمل .

(اتقوا الله) . واصل التقوى : ان يجعل الانسان بينه وبين ما يتقيه حاجزا يحتمي به وتقوى الله ان يكون بين الانسان وبين عذاب الله وقاية تقيه منه ، بامتثال امره ، واجتناب ما نهى عنه وهي في اللغة : من التقوى وهي الحذر يقال اتقيت الشيء اذا حذرته وتطلق على الخوف يقال وقى الشيء اذا خانه وكلمة وقى تدل على دفع شيء بشيء غيره (١) .

(ولتنظر نفس) : اللام لام الامر . (وتنظر) فعل مضارع مجزوم بلام الامر ، اى تتمعن وتتفكر وتعتذر فترى (ما قدمت) من الزاد الذى يكون به صلاح المنزل الذى من لم يسع في اصلاحه لم تكن له راحة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون والخطاب في قوله تعالى : (ولتنظر نفس) لكل نفس كما في قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت)

وقوله : (ووفيت كل نفس ما كسبت) فالنداء اولا بالتقوى لخصوص

---

(١) لسان العرب ١٥/٤٠٢ مقاييس اللغة ٦/١٣١

مختار الصحاح ٧٣٣ مفردات الراغب ٦٨٦

المؤمنين والامر بالنظر لعموم كل نفس لان المنتفع بالتقوى خصوص المؤمنين ونكر النفس للتعميم فيكون الخطاب موجها لجميع الانفس (لغد) : وهو يوم القيامة عبر عنه بالغد لقربه وقوعه ، تنبيها للمؤمنين على اغتنام الفرصة ، والتزود له ونكره لتعظيمه وابهام امره ، كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه (١) .

وهو في غاية القرب لان هذه الدنيا في قصرها كيوم واحد : يجيء فيه اناس ويذهب اخرون والموت والاخرة غد لا بد من كل منهما وكل ما لا بد منه فهو في غاية القرب .

لا سيما ان كان باقيا غير منقضي (٢) .

ولما امر بتقواه سبحانه خوفا من سطوته ، امر بتقواه لاجل مراقبته حياء من جلالته وهيبته ، وتاكيدا للامر للاهتمام والعناية به ، لان مدار النجاة على التقوى ، فمكايد الشيطان دقيقة ، فمن لم يبالغ في محاسبة نفسه ، وتفقد ما يمكن ان يكون من الخلل في اعماله او شك ان يحبط الشيطان اعماله فقال : (واتقوا الله) اى الجامع لجميع صفات الكمال ، حياء منه ، فالتقوى الاولى لاتحاد صور الاعمال ، وهذه لتصفيتها وتزكية ارواحها ، وعلل مرغبا

---

(١) الكشاف ٨٦/٤ نظم الدرر بتصرف

اضواء البيان ٣٩/١ التفسير الكبير للرازى ٢٩١/٢٩

(٢) نظم الدرر .

مرهبا الامر بالتقوى والحض عليها • (ان الله) : اى الذى له الاسماء الحسنى والصفات العلى ، (خبير) اى عظيم الاطلاع على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة (بما تعملون) فلا تعملون عملا الا كان بمرأى منه ومسمع فاستحيوا منه (١) •

وكرر الاسم الاعظم كراهية ان يظن تقييد التقوى بحيثية من الحيثيات وتعظيما لهذا المقام وان احاطته لا تخفى مقاما دون مقام ولا شأنا سوى شأن (٢)

وانما عبر بصيغة الماضى في قوله (ما قدمت) ليحث على الاسراع في العمل والمبادرة به لانه لم يملك الا ما قدم في الماضى والمستقبل ليس بيده ، ولا يدرى ما يكون فيه (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) ـ لقمان ٣٤ـ

وفي الاية حث على تقوى الله اجمالا وحث على النظر والتامل فيما قدمت كل نفس لغد وتكرر الامر فيها بتقوى الله مما يدل على شدة الاهتمام والعناية بتقوى الله •

وبعد أن رغب في تقواه تارة بالخوف واخرى بالحياء تاكيدا لها وتعظيما لشانها وعلل ذلك بعلمه المحيط ، ببواطن الامور ، واطلاعه على اعمال عباده ، لينبه الغافلين الناسين والمتناسين ، لشدة حاجتهم الى ذلك • قال موجها

---

(١) نظم الدرر •

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٢ •

التفسير الكبير ٢٩/ ٢٩١ •

الخطاب الى المؤمنين يعلمهم وجوب محاسبة النفس على كل صغيرة وكبيرة ، ومراقبتها في كل ما تاتي وتذر ، ليكون على وفق المنهج الذى رسمه الله قال : (ولا تكونوا) : ايها المحتاجون الى التحذير وهم الذين امنوا .

(كالذين نسوا الله) اى : اعرضوا عن اوامره ونواهيه وتركوها ترك الناسين لمن امر بها ، وما له من صفات الجلال والاكرام .

والنسيان في لغة العرب : يطلق على الترك . ومنه قوله تعالى : (نسوا الله فنسيهم) - التوبة ٦٣ - وقوله : (ما ننسخ من اية او ننسها) - البقرة ١٠٦ - اى نذهركم بتركها .

والنسيان ضد الذكر والحفظ ، يقال نسيت الشيء نسيا ونسيا - بسكون السين وكسرها - واذا نسب النسيان الى الله تعالى فهو تركه اياهم استهانة بهم ومجازاة عما تركوه (١) .

(فأنساهم) : فتسبب عن ذلك انه عاملهم بعملهم واوكلهم الى انفسهم فخسروا . (٢)

(أنفسهم) : فلم يقدموا لها ما ينفعها . لان ما قدموه مشوب بالمفسدات من الرياء والعجب ، فكانوا كمن قال فيهم سبحانه (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة) - الغاشية ٣ - لانهم لم يدعوا بابا من ابواب الفسق

---

(١) لسان العرب ١٥/ ٣٢٣ مختار الصحاح ٦٥٨ مفردات الراغب ٧٤٨ مقاييس اللغة ٥/ ٤٢٢

(٢) ابن كثير ٤/ ٣٤٢ تفسير القرطبي ٨/ ٦٥٢٢ الكشاف ٤/ ٨٧ التفسير الكبير ٢٩/ ٢٩١ البحر المحيط ٨/ ٢٥١

الا ولجوه فان راس الفسق هو الجهل بالله وراس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس ، فان اعرف الناس بنفسه اعرفهم بربه ،فنتج انهم اضاعوها فهلكوا (١) .

قال : (أولئك) اى : البعيدون عن كل خير (هم) : اكد بذلك تخصيصهم بالضمير المنفصل . (الفاسقون) اى : الخارقون في المروق من دائرة الدين (٢) .

والفسق في اللغة : الخروج عن الامر يقال : فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت . ويطلق على العصيان والترك لامر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق يقال : فسق وفسق - بضم السين وفتحها - اذا فجر (٣) .

وبعد ان ثبت بالدليل ان حزب الله هم المفلحون بما ايدهم به في هذه الحياة الدنيا ، من النصر والشدة على الاعداء والميل والمعاضدة للاولياء ، وسائر الافعال الموصلة الى جنة المأوى وصرح في اخر الدليل بخسران حزب الشيطان بالخلود في النيران فبين ان المغرور بهذا بالدنيا ، الغافل عن الاخرة لاجل شهوات فانية وحظوظ زائلة ،عاملا عمل من يعتقد انه لا فرق بين الشقي بالنار والسعيد بالجنة منزلا لهم منزلة الجازم بذلك ، ليثبت انهم غافلون عن هذه الحقيقة ، فقال (٤) :

---

(١) نظم الدرر بتصرف

(٢) المرجع السابق .

(٣) لسان العرب ١٠/٣٠٨ مفردات الراغب ٥٧٢

مختار الصحاح ٥٠٣ مقاييس اللغة ٤/٥٠٢

(٤) نظم الدرر .

(لا يستوى) : بوجه من الوجوه (اصحاب النار) التي هي دار الشقاء الاعظم (واصحاب الجنة) التي هي دار النعيم الاكبر في الدنيا ولا في الاخرة (١) . فالفرق بينهما شاسع فاصحاب الجنة في اعلى عليين واصحاب النار في اسفل سافلين ، وهيهات هيهات ان يلتقى الخاسر والرابح على حد سواء لذلك عقب بقوله :

(اصحاب الجنة هم الفائزون) : اى خاصة (الفائزون) بكل محبوب الذين نجوا وظفروا بامانيهم واصحاب النار هم الهالكون في الدارين كما وقع في هذه الفوزة (٢) والفوز في اللغة : النجاة والظفر بالخير . ويطلق على الظفر بالخير والنجاة من الشر فيقال : فاز بالخير وفاز من العذاب وأفازه الله بكذا ، قال الله تعالى : (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز) آل عمران ١٨٥ (٣) ودلت هذه الاية على عدم استواء الفريقين اصحاب النار واصحاب الجنة ، وهذا امر معلوم بداهة : وقد جاء التنبيه عليه لشدة غفلة الناس عنه ولظهور اعمال منهم تغاير هذه القضية البديهية ، يراد بهذا الخبر لازمه ، وهو ما يلزم من ذلك من التنبيه والحث لهم ان يعملوا ما يبعدهم عن النار ويجعلهم من اصحاب الجنة لينالوا الفوز اورد هذا المعنى الزمخشرى في الكشاف . ولما كانت طريق السعادة لا تتضح للبشر الا عن طريق وحي الهي وكان هذا الوحي هو القرآن . الذى ينبه الغافلين بأدلة عقلية وحسية تحرك الفطرة وتقومها ، وكان المنتفع به هو الذى يتفكر فيه وان الذى لا يتفكر فيه ولا يلقى له بالا يظل في غفلة قاسى القلب . عقب فقال مبينا سبب افتراق الفريقين في العقبى ، انه افتراقهم في الانتفاع بهذا القران تمثيلا للقلوب في قوتها او لينها عند سماع القران ، توبيخا للقاسى ومدحا للمطيع اللين (٤) .

---

(١) نظم الدرر (٢) المرجع السابق

(٣) لسان العرب ٥/ ٣٩٢ مفردات الراغب ٥٨٢ مختار الصحاح ٥١٤ مقاييس اللغة ٤/ ٤٥٩ .

(٤) نظم الدرر بتصرف .

(لو أنزلنا) بعظمتنا التي أبانها هذا الانزال (هذا القران) اى : الجامع لجميع العلوم ،الفارق بين كل ملتبس ، المبين لجميع الحكم ، المجموع بين دفتي المصحف (على جبل) أى جبل كان (لرأيته) يا ايها المخاطب به ،وان لم يتأهل غيرك لمثل هذه الرؤية .

(خاشعا) اى : مطمئنا مخبتا على صلابته متذللا باكيا (١) .

الخشوع في اللغة : يقال خشع خشوعا وتخشع : اذا رمى ببصره نحو الارض وغضه ، وخشع بصره انكسر (٢) وهو عبارة عن الخضوع التام والتذلل لمن خشع له .

واستعير للجبل توبيخا للمخاطبين وحثا لهم ، على الخشوع عند سماعه والتفكر فيه ،

(متصدعا) اى : متشققا غاية التشقق ، كما تصدع ،الطور لتجلينا له ، كما قصصناه عليك قبل (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) - الاعراف ١٤٣ - وبين سبب تصدعه وخشوعه فقال : (من خشية الله) اى : من الخوف العظيم ممن له الكمال كله حذرا من ان لا يكون مؤديا ما افترض عليه من تعظيم القران عند سماعه : فما لابن آدم وقد اتاه الله من العقل ما لم يؤت الجبل يستخف به ويعرض عما فيه من العبر (٣) إ ؟ .

قال الزمخشري في تفسيره :

والغرض من هذا التمثيل ،توبيخ الانسان على قسوة قلبه ،وقلة تخشعه عند تلاوة

---

(١) نظم الدرر

(٢) لسان العرب ٨/ ٧١ مفردات الراغب ٢١٣ مختار الصحاح ١٧٦ مقاييس اللغة ٢/ ١٨٤ .

(٣) نظم الدرر لسان العرب ١٤/ ٢٢٨ مفردات الراغب ٢١٣ مختار الصحاح ١٨٦ مقاييس اللغة ٢/ ١٨٤ .

القرآن ، وتدبر قوارعه وزواجره ، والى ذلك مال ابن كثير في تفسيره فقال مستدلا لما اختاره : لو فهم الجبل هذا القران فتدبر ما فيه لخشع وتصدع مع غلظته وقساوته ، من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم ايها البشر ... ألا تلين قلوبكم فتخشع وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله امره ، وتدبرتم كتابه (١) ؟! . وقال الفخر الرازى في تفسيره :

انه لو جعل في الجبل عقل كما جعل فيكم ، ثم انزل عليه القران لخشع وخضع وتشقق من خشية الله (٢) .

ويرى بعض العلماء ان الكلام خرج مخرج المثل بقوله (وتلك الامثال نضربها للناس) ومثلوا له بقول الشاعر :

أما وجلال الله لو تذكريني ... كذكراك ما نهنهت للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكرا لو أنه ... تضمنه صم الصفا لتصدعا

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة ، يقولون هذا كلام يفلق الصخر ، او يهد الجبال ويصدع الطير ، ويستنزل الوعول ، وليس ذلك بكذب منهم ، بل المعنى : انه لحسنه وحلاوته وبلاغته ، يفعل مثل هذه الامور ، لو تأتت ، او لو كانت مما يسهل ويتيسر لشيء من الاشياء لتهسلت من اجله (٣) اهـ .

ولا منافاة بين القولين فكلام الله مؤثر لكن لا يتأثر به الا من كان له قلب واع واحساس مرهف يدرك معانيه ويستشعر عظمته .

---

(١) الكشاف ٤/٨٨ ابن كثير ٤/٣٤٢ .

(٢) جـ ٢٩/١٩٢ التفسير الكبير .

(٣) امالى الشريف المرتضى جـ ١/٤٢٨ .

وفي الاية مدح للنبي صلى الله عليه وسلم في ثباته لما لا تثبت له الجبال وذم للمعرضين لكونهم أقسى من الجبال .

ولما كان التقدير توبيخا أو تبكيتا لمن لم يرق للقران ، فيتفكر فيه ويهتدي بهديه وبخهم ليحضهم على العودة والانابة كما فعل من قبل في سورة الحديد :

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) ، فانا قد فصلنا لهم الحلال والحرام و والامر والنهي ، وأوضحنا المحكم ودللنا على المتشابه ، وقصصنا الاقاصيص ، بعد جعلهم عقلاء ناطقين ، فتلك اقاصيص الماضين لعلهم يعتبرون (١) ، عطف عليه قوله : (وتلك الامثال) اى : التي لا يضاهيها شيء (نضربها للناس) اى : الذين يحتاجونها وهم من فيهم تذبذب واضطراب (٢) .

والمثل : عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر وصورة (٣) .

ومعنى ضرب المثل : هو من باب ضرب الدراهم حيث تاتي ضرب بمعنى اشباع شيء بشيء اخر ومعنى وصف وبين فمعناه اعتبار الشيء بغيره وتمثيله به ، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره (٤) .

---

(١) انظر الدرر (٢) المرجع السابق

(٣) لسان العرب ٦١٢/١١ مفردات الراغب ٧٠٠

مختار الصحاح ٦١٤ مقاييس اللغة ٢٩٦/٥

(٤) لسان العرب ٥٥٠/١ مفردات الراغب ٤٣٦ مختار الصحاح ٣٧٩

مقاييس اللغة ٣٩٨/٣ .

ويتجلى هذا واضحا فيما ورد في السورة من تشبيه المنافقين بالشيطان ، (لعلهم يتفكرون) اى : لتكون حالهم عند من نبذهم حال من يرجو تفكرهم في تلك الامثال ، فينفعهم ذلك اذا أداهم التفكر الى التفكر فالتذكر .

او نقول : ان المراد ب (لعل) كي . وعليه يكون المعنى ضربنا الامثال وبيناها كي يتفكروا فهل تفكروا ؟! وفي كلا الوجهين حض للمخاطب على الاقلاع عن الباطل ولزوم الحق (١) .

فيتخلى من الشهوات البهيمية ، وينجو من الحظوظ النفسية ، فيتحلى بالملابس الروحانية ، فيصير بالمجاهدات والمنازلات الى الصفات الملكية ، فيكون أهلا للمقامات القدسية في الجنان العلية (٢) .

وهنا ياتي دور تفصيل ما اجمل في مطلع السورة ، من تنزيه الله واثبات صفتي العزة والحكمة له سبحانه وتعالى ، بعد ان حرك العاطفة وبين وفصل ، فاستعدت لقبول ما سيلقيه اليها من صفات الجلال والجمال ، التي لمستها في ثنايا هذه السورة من نصرة المؤمنين وخذلان الكافرين . فقال : (هو الله) اى : الذى وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه ، فلا يستحق الوصف غيره

---

(١) ذهب كثير من المفسرين الى تأويل (لعل) الواردة من الله تعالى بـ (كي) وذلك لان لعل للترجي والترجي لا يصح من العليم بالخفايا والخبايا فاقتضى ذلك تأويلها بما يوافق علم الله وانما استعمل القرآن ـ لعل ـ ولم يستعمل في موضعها ـ كي ـ ليكون الكلام ابلغ باحتماله اكثر من وجه .

(٢) نظم الدرر .

لانه الموجود دائما أزلا وأبدا ، وعبر عنه بأخص اسمائه ، واخبر به لطفا فقال :

(الله) اى : المعبود الذى لا تنبغى العبادة والالهية الا له ، والذى ظهر بافعاله التي لا تضاهى غاية الظهور ، فتميز غاية التميز (١) ،

و(اللـه) هو العلم الخاص الذى لا يشاركه فيه احد من خلقه ، ولا يطلق على احد غير الذات المتصفة بكل كمال ، المنزهة عن كل نقص وهو الاسم الاعظم الذى يرجع اليه كل اسم ، ويضاف الى تفسيره كل معنى ، وحقيقته المنفرد في ذاته وصفاته وافعاله عن نظيره ، فهذه حقيقة الالهية ، ومن كان كذلك فهو اللـه .

ولذلك كان وصفه : (الذى لا اله الا هو) فانه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور ان يكافيه او يدانيه شيء (٢) .

والاله مشتق من أله يأله اذا عبد فهو اله بمعنى مألوه أى معبود، فالاله هو المألوه الذى تألهه القلوب . وهو يتضمن معاني سائر الاسماء بطريق التضمن .

واصله " الاه " على فعال بمعنى مفعول اى : معبود وقيل من " لاه " فعل وقيل من " أله " تحير لان العبد اذا تفكر في صفاته تحير فيها ويقال تأله الرجل اذا تعبد (٣) قال رؤبة :

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهى

---

(١) نظم الدرر

(٢) المرجع السابق : احكام القران لابن العربي ج ٢ / ٧٩٨ .

(٣) اسماء الله الحسنى للزجاج ص ٢٥ لسان العرب ١٣/ ٤٦٦

مفردات الراغب ص ٢٥ مقاييس اللغة ١/ ١٢٧ مختار الصحاح ص ٢٢

ولقد اقام القران الدليل تلو الدليل على ان الله هو الاله الواحد المستحق للعبادة ، وأبطل الشرك بأساليب شتى متنوعة ، فلم يقبل من احد الا الاقرار بانه لا اله الا هو لينجو من النار ، اذا قالها موقنا بها وعمل بما تقتضيه ، من امتثال جميع ما امر الله به واجتناب جميع ما نهى الله عنه ، والايمان بجميع ما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم .

اما في الدنيا فيكفيه الاقرار ، فتجرى عليه احكام المسلمين شريطة ان لا يظهر ما يخالف هذا الاقرار ، واما في الاخرة و فلا ينجو الا من آمن بقلبه ، ونطق بلسانه ، وعمل بجوارحه ، على وفق المنهج القرآني .

ثم دلّ على اية استحقاقه لذلك فقال مقدما لما هو متقدم في الوجود :

(عالم الغيب) اى : الذى غاب عن علم جميع خلقه . وأل فيه للاستغراق اى كل غيب فيعم ذلك جميع ما غاب عن خلقه سواء في ذلك ما امكن ان يطلعوا عليه في وقت دون وقت اولم يمكن في اى وقت .

ولما كان ربما ظن ان وصفه بالغيب امر نسبي ، مسما غيبا بالنسبة لناس دون ناس ، ذكر الضد على ان المراد كل ما غاب وكل ما شهد فقال :

(والشهادة) الذى وجد فكان بحيث يحسه ويطلع عليه بعض خلقه (١) ، والشهادة عبارة عما يدرك بالحواس فهي أعم من ان تكون بالمشاهدة فالله سبحانه حاضر مطلع على عباده ، يعلم ما يسرون وما يعلنون يعلم احوالهم وما غاب عنهم .

---

(١) نظم الدرر .

ولما تعالى في صفات العظمة ونعوت الجلال والكبر ، فبطن غاية البطون اخذ في رحمة العباد بالتنزل لهم والتعرف اليهم بعواطف الرحمة ، فقال ثانيا الكلام على الضمير ، اعلاما بان المحدث عنه اولا ، هو المحدث عنه ثانيا (١) .

(هو الرحمن) اى : العام الرحمة الممتلىء بالرحمة ، الذى عمت رحمته جميع خلقه (٢) ، رباهم بالنعم ، وابتلاهم بالنعم ، ليرحمهم ان شكروا . ولقد استفتح القران سورة الفاتحة ، بهذين الوصفين ، (الرحمن الرحيم) ليمتن على عباده ، برحمته التي جاءت الخلق ابتداء من غير طلب ، فعمت المطيع والعاصى ، فمن ادى شكرها استحق الرحمة الخاصة بالمؤمنين لذلك عقب فقال : (الرحيم) : اى : ذو الرحمة العامة المسعدة في الظاهر ، والرحمة الخاصة المسعدة في الباطن (٣) وهذه الرحمة خاصة بالمؤمنين ، وفي ذلك يقول (وكان بالمؤمنين رحيما) ـ الاحزاب ٤٣ـ .

ولما كانت خقيقة الملك هي في كمال الاستيلاء على الخلق ، يتصرف بهم ملكهم كما يشاء ، فيبتليهم في بعض مستطاعهم ، ليدنيهم ويجزيهم على حسب ما يعملون وحكمه عليهم بحسب احصاء ، عليهم دقيق اعمالهم ، واحاطته بخفى احوالهم والاطلاع على سرائرهم وبذلك يتحقق الاستيفاء والجزاء فيتحقق بذلك كمال الملك ولا بد لمن تتحقق فيه حقيقة الملك : من ان يتصف بالعلم بالسر واخفى ، المحصى ، الحسيب لمثاقيل الذر ، الخبير بخفايا الكون فكان لا ملك بالحقيقة الا الله . (٤)

---

(١) نظم الدرر

(٢) تفسير اسماء الله الحسنى ص ٢٨ للزجاج غريب القران لابن قتيبة ص ٦ .

(٣) نظر الدرر (٤) نظم الدرر بتصرف .

لانه تعالى لما ابتلى الخلق رفع بعضهم فوق بعض ، فاجرى عليهم اسم الملك فتنة لهم ، فضل بسبب ذلك قوم ادعوا الملك الحقيقي فغلط من اراد الله من الخلق فيهم فضلوا بهم اعداد التهليل مع اسمه الملك كما ابتدأ مع اسمه الاله اول اسماء الله ، فلذلك ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة رضي الله عنه : لا ملك الا الله (١) .

ولما وصف نفسه ب ـ الرحمن الرحيم ـ بين ان ملكه ملك رحمة وانعام يجازى الشاكرين (٢) فقال : (هو الله) : اى الذى لا يقدر على تعميم الرحمة لمن اراد وتخصيصها لمن شاء الا هو (الذى لا اله) اى معبود بحق (الا هو الملك) : فلا ملك الا هو لانه لا يحتاج الى شيء فانه مهما اراد كان (٣) والملك في اللغة : اصلها الربط والشد ، يقال : ملكت العجين املكه ملكا اذا شددت عجنه ، وقال اصحاب المعاني : الملك النافذ الامر في ملكه ، اذ ليس كل مالك ينفذ امره ، وتصرفه فيما يملكه ، فالملك اعم من المالك ، والله تعالى مالك المالكين كلهم والملاك انما استفادوا التصرف في املاكهم من جهته تعالى ، فهو الحاكم لكل شيء من غير حاجة اليه (٤) .

---

(١) نظم الدرر ـ والحديث اخرجه البخارى في كتاب الادب / باب ابغض الاسماء الى الله ، وفي كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الزمر ، وكتاب التوحيد / باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامى الله ، ومسلم في كتاب المسلفرين ، وابو داود في كتاب السنة والترمذى في كتاب التفسير ، باب سورة الزمر .

(٢) نظم الدرر بتصرف .

(٣) المرجع السابق

(٤) تفسير اسماء الله الحسنى للزجاج ، ص ٣٠ ـ احكام القران لابن العربي ٢/٧٩٨ .

ولما كان الملك اصل ما لحق الخلق من الافات ، لانه رأس الشرف الذى هو باب الترف ، الملازم لمخالفة كتاب الله . (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها) ـ النمل ٣٤ ـ

اما في الاعمال فقد يكون فتنة واما في الرأى فربما يكون علوا وكيدا وكفرا ، فان امر الله في بني ادم ، على ما هو نبوة ، ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهي نزوله ويكون ملكا ثم تتداعى الاحداث . (١)

ولما كان تداعى الملك من موجبات الذم ،قال عقب صفة الملك : (القدوس) : مصرحا بما نزل في القران من انه البليغ في النزاهة عن كل ذم ، يدركه حس ، او تعتوره حال ، او يساق اليه وهم ، فان القدس طهرا ، لا يقبل التغير ولا يلحقه رجس ،فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدس (٢) .

والقدس في اللغة : من التقديس وهو التطهير ، ومنه قيل للسطل: قدس ، لانه يتطهر فيه .. وهو مبنى على مفعول ـ من القدس وهو الطهارة ، ومنه قوله تعالى : (ونقدس لك) ـ البقرة ٣٠ ـ اى ننسبك الى الطهارة ومعنى القدوس المطهر عن كل نقصان (٣) .

قال الرازى : هو البليغ في النزاهة ، في الذات ، والصفات ، والافعال ، والاحكام والاسماء (٤) .

---

(١) نظم الدرر بتصرف (٢) المرجع السابق .

(٣) تفسير اسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٠ تفسير غريب القران لابن قتيبة ا ص ٨ احكام القران لابن العربي ٢١/ ٧٩٨ .

(٣) التفسير الكبير ٢٩/ ٢٩٣ .

وقد اقتضت حكمة الله ان يبتلى عباده ، فيخولهم من النعم ، ويدفع عنهم من البلاء ويطهرهم من الرجس ويزكيهم .

ولاجل قصر تحلى الخلق بالملك ، في قليل من متاع الدنيا ، رغب النبي صلى الله عليه وسلم عنه واختار العبودية الدائمة له ، بدوام التذلل لسيده ، فوضح بذلك وعلم ان لا قدوس الا الله حقيقة ومعنى ، وتصحيح احاطة (١) .

ولما كان سبحانه لتمام ملكه ، وعلو ملكه ، وكمال قدسه ، لا يتصور ان يلحقه نقص في ذات ولا صفة ولا فعل لانه سبحانه عالم بالظواهر والبواطن على حد سواء قال تعالى : (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) ـ سبأ ٣ ـ . يضع الامور في مواضعها المحكمة التي يصعب على غيره ان يدركها ، الا بنو فيقه ، من هنا فقد احتج الى ما يدل على ذلك ، فصرح بكلام يفهمه البشر ويدركون معانيه بلفظ جامع فاختار كلمة (السلام) . حيث ان السلام حد ما بين الالفة والفرقة وحد ما بين الرحمة والسطوة ، وهو الذي ما ينال الجاهل من عباد الرحمن (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) ـ الفرقان ٦٣ ـ وادنى ما ينال المتعدى من المقتدر ، والسلام يؤمن شر السفيه ، ويكفى من اذيته ويدارى (٢) .

---

(١) نظم الدرر ـ وقد روى ان الله تعالى خير نبيه بين ان يكون ملكا نبيا او عبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا نبيا يجوع يوما فيدعو الله ويتضرع اليه ويشبع يوما فيحمد الله اخرجه احمد في مسنده .

(٢) نظم الدرر بتصرف .

وحيث ان الله لا يعبأ بالخلق ، ولا يحتاج لارتقاب مكنـــة ، لانه لا يعجزه شيء فلم يستحق السلام لكل معنى من وجوه السلامة له ، وافاضتهـــا على غيره تماما ، الا منه اعفاء من معاجلة استحقاق السطوة ، وحفيظة لحرمـــة اختصاص الرحمة ، اتبع ذلك موءمنا للعاصي من المعاجلة ، وللمطيع مـــن سوء المعاملة (١) .

والسلام في اللغة : يقال سلمت على فلان تسليما وسلاما ، ويرى اهل النظر من اصحاب اللغة ـ ان السلام بمعنى السلامة ، كما يقال الرضاع بمعنـــى الرضاعة ، فسمى نفسه ـ جل ثناؤه ـ لسلامته مما يلحق الخلق : من العيب والنقص والفناء والموت ، وسلم الخلق من ظلمة وغبنه ويسمى الصواب من القول سلاما لانه سلم من العيب والاثم (٢) .

ولما كان السلام حدا ما بين معاجلة العاصي بالعقوبة ، وأمن المطيع من سوء المعاملة في الظاهر ، لذلك أردفه بما يتعلق بالباطن ، بالتحصيل احاطة السلامة ظاهرا وباطنا ، فقال :

(الموءمن) لان الامن حد ما بين المحبة والكره ، فيمن لا وسيلة له الا الحب وهو أدنى ما يقبله ذو الحق ، ممن له عليه الحـــق . (٣)

وحق العباد على الله الايمان به ، وتصديق رسله : والعمل بشرائعه ، وذلك مراتب

---

(١) نظم الدرر

(٢) لسان العرب ٥/ ٣٨١ اسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣١
تفسير غرائب القران لابن قتيبة ص ٦ احكام القران لابن العربي ج ٢/ ٧٩٨
مفردات الراغب ٢٢٩ .

(٣) نظم الدرر بتصرف .

اعلاها الايثار وحب المرء لغيره ما يحبه لنفسه ، وتفانيه في مساعدة اخوانه ، والاهتمام بشؤون الجماعة الاسلامية ، وادناها الأمنة في الغيب من الغيبة ، الى غاية الاحسان والتطهير من بوائق الغش والظلم ، وذلك واجب الجار نحو جاره في غيبته ، فالمؤمن في الغيب برىء من النفاق ، لانه اخلص الايمان لربه فتستر به وستره والمسلم أمن في مواجهة من استسلم له ، فاستحق رحمته .

من هنا كان ادنى مراتب الايمان في جانب الله التصديق به ، وفي جانب خلقه عدم اذيتهم ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه) (١) .

وكان ادنى مراتب الاسلام بالنسبة لله : الخضوع له ، وبالنسبة لخلقه التحابب اليهم ، ومواد تهم بشتى الاساليب ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) (٢) .

---

(١) الحديث اخرجه البخارى في صحيحه : كتاب الادب باب : اثم من لا يأمن جاره بوائقه ومسلم في كتاب الايمان باب تحريم ايذاء الجار رقم الحديث ٧٠ ، واخرجه الامام احمد في مسنده ١/ ٢٨٧ .

(٢) الحديث اخرجه مسلم في كتاب الايمان باب بيان انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون رقم الحديث ٨٦ . واخرجه ابو داود في كتاب الادب واخرجه الترمذى في كتاب الاستئذان وفي كتاب الادب وابن ماجة في المقدمة حديث رقم ٩ . واحمد بن حنبل في مسنده ١/ ١٦٥

وهذا وذاك يؤدى الى الامن والامان ، بين الناس بعضهم مع بعض وذلك كله انما هو في الحقيقة من الله تعالى ، فهو الذى يعزى اليه الامن والامان ، بافادته اسبابه ومنع اسباب المخاوف ، فلا أمن في الوجود ولا أمان ، الا وهو مستفاد من جهته تعالى (١) .

وقد يدل المعنى انه الذى أمّن اولياءه من عذابه ، او على معنى المصدق اى : يصدق انبياءه باظهار المعجزة لهم ، فالعبد مؤمن ، اى : مصدق محقق ، والله مؤمن ، اى : مصدق ما وعده ومحققه (٢) . ثم انه بعد ما ذكر (السلام المؤمن) احتاج المخاطبون الى ما يعينهم على فهم الفرق الدقيق بين السلام والمؤمن ، اذ كان ذلك يصعب فهمه وادراكه ، دون فتح من الله سبحانه ، عقب بما يدل على ايضاح المعنى فقال : (المهيمن) : وهي شهادة خبرة واحاطة وابصار ، بحيث لا يخفى عليه من امر خافية ولا يستحق احد من الخلق ان يطلق عليه هذا المعنى الا بمسامحة . (٣)

لأن الخلق لا يشهدون الا الظواهر ، ولا يشهدون من البواطن ولذلك انعجم معناه على كثير من فصحاء العرب ، فمفهوم معناه يوجب توحيده ، فمعنى المهيمن : الشهيد على الوجه المشروح ، مع الامانة المأمونة

---

(١) نظم الدرر

(٢) تفسير غريب القران لابن قتيبة ص ١٠ تفسير اسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٠ التفسير الكبير ج ٢٩/ ٢٩٣

(٣) نظم الدرر بتصرف .

والحفظ والرعايـة ، فيكون لا قائم على كل شيء بكل ما له من رزق وعمل وأجل الا هو ، ولذلك كان القران الذى هو صفتـه سبحانه مهيمنا على جميـع الكتب التي قبله ، مصدقا لما يستحق التصديق منها ، مكذبا لما يستحق التكذيب فمن كان به امهر كان بذلك اعلم (١) .

والمهيمن معناه : الشـاهد الذى لا يغيب عنه شيء ، يقال : هيمن يهيمن ، فهو مهيمن اذا كان رقيبا على الشيء حافظا له (٢) .

ولما كان تمام الخبرة ملزوما لتمام الفعل صرح بهذا اللازم فقال:

(العزيز) والعزة غلبة لا يجد معها المغلوب وجه مدافعة ولا انفـلات ولا اعجاز ، فالعزيز الذى صعب على طالبه ادراكـه مع افتقار كل شيء اليه في كل لحظة ،

الشـديد في انتقامه ، الذى لا معجز له في انفاذ احكامه ، ولذلك يذكر كثيرا بآيات الاحكام متصلا بالحكمة والعلم ، انباء عن العدل (٣) .

---

(١) نظم الدرر .

(٢) لسـان العرب ١٧ / ٣٢٦ تفسير اسماء الله الحسنى :للزجاج ص٣٢

تفسـير غريب القران لابن قتيبـة ص ١١

التفسير الكبير للرازى ٢٩ / ٢٩٤ الكشـاف ٤ / ٨٧

(٣) نظم الدرر .

ولما كان المغلوب على الشيء قد لا ينقاد باطنا ، فلا يباشر ما غلبه عليه الغالب ، وقد لا يكون العز ظاهرا للكل أردفه بقوله :

(الجبار) ومعناه في اللغة : القاهر الذى جبر خلقه على ما اراد أى اجبره أو هو فعال من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير ، يقال : جبر الله العظم اذا نماه . لان اصل جبر في الكلام انما وضع للنماء والعلو . والجبار الذى يستغنى عن الاتباع ، ولا يحن عند التعذيب ، ولا يحنق عند الغضب (١)

وهو العظيم الذى يفوت المقاوم مناله ، فهو على هذا من اسماء الذات ، ويصلح امور من يؤيده من الخلق ، ويقهرهم على ما يريد ، فهم احقر من ان يعصوه طرفة عين بغير ارادته . فالجبار لا يخرج شيء عن قبضته ، وتقصر الايدى عن حمى عزة حضرته ، ولا ينال منه الا نولا ، وهو ابعد شيء عن اوصاف الخلق ، لمنال الذباب منهم ما شاء وعجزهم عنه :

(وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) ـ الحج ٧٣ ـ فله الملك ظهورا بالنعم الظاهرة من الانسان وما دونه ، وله الملكوت بطونا بالنعم الباطنة من الملك وما دونه ، وله الجبروت اختصاصا من وراء كل ملك وملكوت (٢) .

---

(١) اسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٤ احكام القران لابن العربى ص ٧٩٨

(٢) نظم الدرر بتصرف ـ ومعنى ملكوت على وزن ـ فعلوت ـ من الملك كالرهبوت من الرهبة وهو العز والسلطان وملك الله وملكوته عزه وسلطانه ومعنى جبروت : الجبار في صفة الله عز وجل الذى لا ينال ومنه جبار النخل . وقيل انه من الاجبار وهو القهر والاكراه الا من جبر وقيل على وزن ـ فعال ـ العالي فوق خلقه مع صيغ المبالغة . فعلى هذا جبروت على وزن ـ فعلوت ـ من الجبر والقهر لسان العرب مادة ـ ملك ـ و ـ جبر ـ

ولما كان الالجاء قد لا يكون بنوع ملاطفة اتبعه قوله :

(المتكبر) : ليعم الالجاء الظاهر والباطن . وهو متفعل من الكبر ، ولا مستحق للكبر الا الله سبحانه وتعالى : الذى تكبر بربوبيته فلا شيء مثله . المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم ، لأن اصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد ، وهذا لا يكون في الحقيقة الا لله وحده لانه الكامل في القدرة والارادة يفعل ما يشاء ويريد ما يفعل ، اما في الخلق فالتكبر ناشيء عن ضعف وعجز ومن هنا كان المتكبر في وصف الله صفة مدح وفي وصف العبد صفة ذم ، ذلك ان الله مستحق لكل كمال (١) .

وفي الحديث القدسي ان الله تبارك وتعالى قال : (الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعنى شيئا منهما القيته في جهنم) (٢) ومعنى الحديث انه لا يجوز ان يتكبر او يتعاظم أحد لان الكبرياء والعظمة من صفات الالوهية فمن اراد ان يتصف بهما استحق العقوبة من المتكبر الجبار ، ففي الحديث نهى عن التكبر لذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم : لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر - عقوبة له وزجرا عن الاتصاف بهذا الخلق .

فلزم لذلك تعاليه عن شوب نقص لا سيما الشرك فقال سبحانه (سبحان الله) اى : تنزه الملك الاعلى الذى اختص بجميع صفات الكمال فلا يدانيه شيء من نقص (عما يشركون) اى من هذه المخلوقات من الاقنام وغيرها ، مما في الارض او في السماء من كبير وصغير وجليل وحقير .

---

(١) احكام القران للقرطبي ٨/٢٥٢٦ التفسير الكبير للرازى ٢٩/٢٩٤
تفسير ابن كثير ٤/٣٤٤ تفسير اسماء الله الحسنى للزجاج ص٣٢

(٢) الحديث في مسند احمد برقم ٤٤٢ وابن ماجة برقم ١٣٩٧ وابو داود ٤/٨٤ واخرجه مسلم في صحيحه بلفظ " المزازاره والكبرياء ردائه فمن ينازعني عذبته " ٤/٢٠٢٣

ولما تم دليل الوحدنية حصل التفهم بالتدلى الى الملك ثم بالتعلى الى الكبرء فانتج هذه الخاتمة (١) .

ابتدأ سبحانه دليلا اخر هو في غاية التنزل والوضوح فقال مفتتحا بما افتتح به الاول ، من الترتيب في المراتب الثلاث غيب الغيب ثم الظهور على مراتبه ، اعلاما بانه لا براح عن الايمان بالغيب ومن برح عنه هلك (٢) فقال :

(هو) : ابتدأ بالضمير لانه اعرف انواع المعارف بعد لفظ الجلالة ولما كان الضمير موغلا في الغيب ، محتاجا الى ما يوضحه فقد اخبر عنه باشهر الاسماء واعرفها الذى لم تقع فيه شركة بوجه فقال :

(الله) اى : الذى ليس له سمى فلا كفوء له فهو المعبود بالحق فلا شريك له بوجه . ولما بدأ سبحانه بهذا الدليل الجامع اتبعه بدليل حسي يدركه جميع العقلاء فقال : (الخالق) . واصل الخلق في الكلام . التقدير : يقال : خلقت الشيء خلقا : اذا قدرته . قال تعالى (وتخلقون افكا) ـ العنكبوت ١٧ ـ اى : تقدرونه وتهيئونه . ومنه قولهم : حديث مختلق ، يراد : انه قدر تقدير الصدق وهو كذب . فالخلق في اسم الله تعالى : هو ابتداء تقدير النشيء . فالله تعالى خالقها ، ومنشئها ، وهو متممها ، ومدبرها (فتبارك الله احسن الخالقين) ـ المؤمنون ١٤ ـ (٣)

---

(١) نظم الدرر .

(٢) المرجع السابق بتصرف .

(٣) تفسير اسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٥ .

تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٤ .

ومعناه الذى لا خالق على الحقيقة الا هو ، لان الخلق فرض حد وقدر في مطلق منه لم يكن فيه بعد حد ولا قدر (١) .

ولما كان الخالق الحق هو من اتقن التقدير وابدى ، وان كان اغلب الخلق لقصورهم لا يفهمون منه الا مطلق التقدير كما قال شاعرهم : (٢)

ولأنت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى .

أردفه تنبيها على ذلك ، وتصريحا او تاكيدا (٣) بقوله :

(البارئ) وهو في اللغة : الخالق يقال : برأ الله الخلق فهو يبرؤهم برءا : اذا فطرهم والبرء : خلق على صفة فكل برء مخلوق .

وقال ابو علي : هو المعنى الذى به انفصلت الصور بعضها من بعض ، فصورة زيد مفارقة لصورة عمرو وصورة حمار مفارقة لصورة فرس ، فتبارك الله خالقا وباريا (٤) .

وهو الذى يدقق ما وقع به التقدير ويقطعه ويصلحه ، ولا بد فيه من كمال العلم والاحاطة بالمعلومات على وفق ما يجب ان تكون عليه ليكون الخلق والبرء على وفق العلم (٥) .

---

(١) نظم الدرر

(٢) البيت من قصيدة لزهير بن ابى سلمى يمدح فيها هرم بن سنان انظر ديوانه ص ٩٤ .

(٣) نظم الدرر بتصرف .

(٤) تفسير ابي السعود ٣١١/٥ تفسير غريب القران ص ١٥ لابن قتيبة واسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٧ وابو على بن محمد بن عثمان المؤذن النيسابورى الذى روى كتاب الاسماء الحسنى عن الزجاج ونسخه .

(٥) نظم الدرر .

ولما كان التصوير من تمام اتقان الخلق والبرء وتنفيذهما على اكمل وجه ، عقب فقال:

(المصور) : ومعناه في اللغة : مفعل من الصورة . وهو تعالى مصور كل صورة لا على مثال احتذاه ولا رسم ارتسمه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومعنى التصوير : التخطيط والتشكيل (١) .

قالوا ومعناه : انه الذى يرتب الموجودات على صفات مختلفات وهيئات متغايرات (٢)

ومعنى : فان التصوير اتمام تفصيل الخلق الظاهر واكمال تخطيطه واكمال اعضائه ، وهو حد ما انتهى اليه الخلق في الظهور بعد بعثها باحيائها ، بما لها من الروح المقوم لها سواء كان حيوانيا او غيره الى غاية كمالها ، الذى يعطيه المصور لها افضالا ويتضح الفرق بين الاسماء الثلاثة بالبناء ، فانه يحتاج اولا الى مقدر ، يقدر ما لا يد منه من الحجر والخشب والحديد ومساحة الارض ، وعدد الابنية وعرضها ، وهذا يتولاه المهندس فيرسم وهو الخلق ثم يحتاج الى احجار ينحت الاحجار ويهيئها لتصلح لمواضعها التي تكون فيها من الابواب وأوساط الجدر ، واطرافها وزواياها ، وغير ذلك وكذا الخشاب والحداد ، من الخشب والحديد وهو البرى ،

ثم ياخذ الكل للبناء فيضعها مواضعها الى ان تقوم صورتها التى رسمها المهندس اولا وقدرها ولا تقوم الصورة الا اذا كانت محكمة بحسب الطاقة .

فكل من كان تصويره أحكم كان اعظم ، ولا يكون كذلك مصورا الا الله (٣) .

---

(١) تفسير اسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٧ ، تفسير القرطبي ٨/ ٦٥٢٧

(٢) احكام القران لابن العربي ٢/ ٨٠٢ .

(٣) نظم الدرر .

قال الرازى في اللوامع : والتصوير موجود في كل اجزاء العالم وان صغر حتى في الذرة والنملة ، بل في كل عضو من اعضاء النملة ، بل الكلام يطول في طبقات العين وعددها وهيئتها وشكلها ، ومقاديرها والوانها ، ووجه الحكمة فيها ، فمن لم يعرف صورتها لم يعرف مصورها الا بالاسم المجمل ، : وهكذا القول في كل صوت لكل حيوان ونبات : بل لكل جزء من نبات وحيوان اهـ (١) .

ولما علم من هذا ان المصور لا بد ان يكون بالغ الحكمة اردفه بقوله :

(له) اى : خاصة (الاسماء الحسنى) اى : من الحكيم وغيره ، ومما لا يتم التصوير الا به ولا تدركونه انتم حق ادراكه (٢) .

وانما قال الأسماء الحسنى ، لانها حسنة في الاسماع والقلوب ، فانها تدل على توحيده وكرمه وجوده وافضاله ، ومجيء قوله تعالى : (له الاسماء الحسنى) بعد تعداد اربعة عشر اسما من اسمائه سبحانه ، يدل على ان له اكثر من ذلك ، ولم يأت حصرها ولا عددها في اية من كتاب الله (٣) .

---

(١) نظر الدرر اورده بنصه نقلا عنه .

(٢) المرجع السابق .

(٣) احكام القران للقرطبي ٣/ ٢٧٦٢ .

وحسن الاسماء انما يتحقق بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها ، ويضاف الى ذلك انها تقتضي معاني حسانا شريفة ، وهي بتوقيف: لا يصح وضع اسم لله بنظر ، الا بتوقيف من القران او الحديث او الاجماع اهـ (١)

ولما اخبر سبحانه اول السورة ان الكائنات اوجدت تسبيحه خضوعا لعزته وحكمته ، دل على ذلك بما تقدم الى ان اسمعه الاذان الواعية بالاسماء الحسنى ، على دوام اتصافه بذلك ، لمن يحتاج اليه سبحانه من الخلق لماله من النقص الى التذكير ، فعبر بالمضارع فقال : (يسبح) اى : يكون له التنزيه الاعظم ، من كل شائبة على سبيل التجديد والاستمرار (له) اى : على وجه التخصيص بما افهمه قصر المتعدى وتعديته باللام (٢) وقد سبق القول في اللام مفصلا في اول البحث بما يغني عن اعادته هنا ، ومهما يكن من شيء فان اللام يصح فيها وجهان يدلان على اختصاص الله بالتسبيح واستحقاقه له لاجل ذاته وما اتصف به من صفات الكمال والجلال .

هذا ولما كان المنزه الذى استجلى التنزيه من الاسماء الحسنى قد أشرقت انفاسه واغراسه الى ان صار علويا ، فرأى الارض عالية كالسماء لمشاركتها

---

(١) المرجع السابق ٥/ ٣٩٥٩ .

(٢) نظم الدرر .

لها في الدلالة على كماله سبحانه ، فجمعها معها لانه لا يحتاج الى تاكيد كالشيء الواحد باسقاط " ما " والصقها بها . (والارض) فمن تامل الوجود مجملا ومفصلا علم تسبيح ذلك كله بنعوت الكمال واوصاف الجلال والجمال (١) .

(وهو) والحال انه وحده (العزيز) أى : الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ولا يوجد له مثل يعز الوصول اليه ، وتشتد الحاجة اليه (٢) .

ولما كان من يكون بهذه الصفة لا يتم امره يثبت كل ما يريده الا ان كان على قانون الحكمة اتبعه (الحكيم) ، وهو الذى يضع الامور في مواضعها) وينفذ احكامه بما شاء وكيف شاء ، - وقد تقدم بيان معناه -

ولما لم يكن للخلق من العلم الا بقدر ما يهبهم الله ، لم يكن لهم من الحكمة الا مقدار ما يورثهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) - لقمان ١٢ - (٣) .

---

(١) نظم الدرر .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

ولما كان انما العلم عند الله ، كان انما الحكمة حكمة الله ، وانما الحكم حكم الله ، فهو الحكيم الذى لا حكيم الا هو .

وقد علم سر اتباع الاسماء الشريفة من غير عطف ، وذلك انه لما ابتدأ بهو ، وأخبر عنه بالاسم العلم الاعظم ، المفرد ، المصون الجامع لجميع معانى الاسماء الحسنى ، اتبعه تلك الاوصاف العلى من غير عطف ، اعلاما منه بانه لا شيء منها يوفى جميع معناه بالمفهوم المتعارف عند اهل اللغة ، وكذلك جمع بعدها الاسماء لاشارة الى انه لا يجمع معناه ، الا جميع الاوصاف المنزلة في كتبه ، والتي استأثر بها في غيبه وليس شيء مما ذكر منها هنا مضادا في المعنى الظاهر للاخر ، كالاول والاخر ، حتى يظن لاجله نقص في المعنى بسبب ترك العطف (١) .

واما ترتيبها هكذا فلان كل اسم منها كما مضى شارح لما خفي من الذى قبله ، ومبين للازم ، وموضح لما ألاح انه من مضمونه .

وقد انعطف على افتتاحها ختامها ، ابتدأها بتمامها ، ووفي بمطلعها مقطعها ، وزاد وبلغ الغاية من الارشاد الى سبيل الرشاد ، فسبحان من انزله رحمة للعباد ، وهاديا الى الصواب والسداد (٢) .

---

(١) نظم الدرر .

(٢) نظم الدرر .

الفصـــل الثانـــي

غـــزوة بنـي النضيـــر

١ - موقعها

٢ - أسبابها

٣ - سير الحوادث

٤ - الغنائم وما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بها .

٥ - من نتائج المعركة .

العبرة والعظات من غزوة بني النضير :

اولا - ما حدث فيها من المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم .

تعريف المعجزة وبيان شروطها

وجوب الايمان بالمعجزات الثابتة

التحذير من الافراط في اثبات معجزات للرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيا - الفيء وما فيه من الاحكام الفقهية .

تعريف الفيء في اصطلاح الفقهاء

هل تقسم الارض المفتوحة عنوة وآراء الفقهاء في ذلك ؟

المجيزون وأدلتهم

المانعون وأدلتهم

القول المختار

ثالثا - قطع نخيل بني النضير وما فيه من الدلالات

التنكيل بالاعداء بقطع النخل ونحوه

آراء الفقهاء في قطع الاشجار

رابعا - اجلاء بني النضير وما فيه من العبر والعظات

خامسا - ما فعله بنو النضير قبل خروجهم من المدينة

نفسية اليهود وما تنطوي عليه

الفصل الثاني

(غزوة بني النضير)

١ - موقعها :-

والمراد بالموقع هنا منازل القوم التي كانوا يقيمون فيها و وتقع منازل بني النضير بناحية الغرس - بالفتح ثم السكون - وهي اسم بئر بقباء كان النبي صلى الله عليه وسلم يستطيب ماءها وما والاها من الأرض .

وقد نزلوا هم وبنى قريظة بظاهر المدينة في حدائق وآطام ، بناحية هذه البئر وما والاها . ونزل بنو النضير ، وادى بطحان والبويرة ، - تصغير البئر التى يستقى منها الماء - وهي موضع منازلهم (١) .

يتضح مما تقدم ان الارض التي كان يعيش عليها بنو النضير أرض زراعية ، أكرمهم الله بها ، وأنعم بها عليهم ، فلم يرعوا هذه النعمة ، وتنكروا لها وكادوا لرسوله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله هاديا اليهم ، ومخرجا من الظلمات الى النور ، وتمالأوا على حربه وقتاله مع علمهم بصدقه وأنه النبي الموعود ، وهذا يدل على نوايا اليهود الخبيثة ، وحقدهم على الاسلام وأهله .

---

(١) معجم البلدان ١/٤٤٦/٥١٢

١٩٣/٤

٢ ـ أسبابها :

قتل عمرو بن أمية الضمري خطأ رجلين من بني عامر ، حينما كان عائدا من غزوة ـ بئر معونة ـ لأنهما من الذين عدوا على اصحابه وقتلوا القراء ، وكان لهذين العامريين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به ، وكانوا حلفا لبني النضير .

يقول ابن سعد في طبقاته ، وابن هشام في السيرة ، والطبري في تاريخ الامم والملوك ، وابن كثير في البداية والنهاية (١) : وقد دخل حديث بعضهم في بعض ،

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السبت ، فصلى في مسجد قباء ، ومعه نفر من اصحابه من المهاجرين والانصار ، ثم أتى بني النضير فكلمهم أن يعينوه في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، فقالوا نفعل يا أبا القاسم ما أحببت ، وخلا بعضهم ببعض وهموا بالغدر به . وقال عمرو بن جحاش بن كعب النضري : أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة ، فقال سلام بن مكشم : لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض

---

(١) البداية والنهاية ٤/ ٧٤ ، دلائل النبوة لأبي نعيم جـ ٢/ ١٧٢
تاريخ الرسل والملوك للطبري ٢ / ٥٥١
الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٥٧
سيرة ابن هشام ٣/ ٢٢٠

العهد الذى بيننا وبينه . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر بما هموا ، فنهض سريعا كأنه يريد حاجة ، فتوجه الى المدينة ، ولحقه اصحابه فقالوا : أقمت ولم نشعر ؟

قال : همت يهود بالغدر ، فأخبرني الله بذلك فقمت ، وبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمد بن مسلمة : أن اخرجوا من بلدى ، فلا تساكنوني بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشرا ، فمن رئى منكم بعد ذلك ضربت عنقه .

فمكثوا على ذلك يتجهزون ، وأرسلوا الى ظهر لهم بذى الجدر ، وتكاروا من ناس من أشجع ابلا ، فأرسل اليهم ابن أبي : لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا في حصنكم ، فان معي الفين من قومي وغيرهم من العرب ، يدخلون معكم حصنكم ، فيموتون عن اخرهم ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان ، فطمع حيى فيما قال ابن أبى فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك .

وأورد الحافظ ابن حجر سببا اخر فقال في الفتح (١) :

٢ ـ وروى ابن مردويه قصة بنى النضير باسناد صحيح الى معمر عن الزهرى : أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) جـ ٨/ ٣٣٣ باب أمر بني النضير في كتاب المغاوى .

كتب كفار قريش الى عبد الله بن ابي وغيره ممن يعبد الاوثان قبل بدر يهددونهم بايوائهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، ويتوعدونهم ان يغزوهم بجميع العرب ، فهم ابن ابي ومن معه بقتال المسلمين ، فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما كادكم احد بمثل ما كادتكم قريش ، يريدون ان تلقوا بأسكم بينكم ، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرقوا ، فلما كانت وقعة بدر كتب كفار قريش بعدها الى اليهود : انكم اهل الحلقة والحصون ، فتهددونهم ، فاجمع بنو النضير على الغدر فارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم :

اخرج الينا في ثلاثة من اصحابك ، ويلقاك ثلاثة من علمائنا ، فان آمنوا بك اتبعناك ففعل ، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر ، فارسلت امرأة من بني النضير الى أخ لها من الانصار مسلم ، تخبره بأمر بني النضير فاخبر اخوها النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل ان يصل اليهم ، فرجع وصبحهم بالكتائب ، فحصرهم يومه ، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم ، فعاهدوه ، فانصرف عنهم الى بني النضير ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى ان لهم ما أقلت الابل الا السلاح ، فاحتملوا حتى ابواب بيوتهم ، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ، ويحملون ما يوافقهم من خشبها ، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس الى الشام ، وكذا اخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق ، وفي ذلك رد على ابن القيم في زعمه انه ليس في هذه القصة حديث باسناد .

وقد عقب ابن حجر على هذه القصة فقال :

قلت : فهذا أقوى مما ذكر ابن اسحاق من ان سبب غزوة بني النضير طلبه صلى الله عليه وسلم ان يعينوه في دية الرجلين العامريين ،

لكن وافق ابن اسحاق جل اهل المغازي ، ثم قال :

واذا ثبت ان سبب اجلاء بني النضير ما ذكر من همهم بالفدر به صلى الله عليه وسلم ، وهو انما وقع عند ما جاء اليهم ليستعين بهم في دية قتيلي عمرو بن امية تعين ما قال ابن اسحاق لان بئر معونة كانت بعد أحد بالاتفاق ، وأغرب السهيلي فرجح ما قال الزهري : ولولا ما ذكر من قصة عمرو بن امية لأمكن ان يكون ذلك في غزوة الرجيع (١) اهـ . وغزوة ذات الرجيع : هي من اثار احد ونتائجها . وملخصها ان وفدا من قبائل عضل والقارة غدروا بالوفد الذى ارسله النبي صلى الله عليه وسلم بناء على طلبهم وعلى رأسهم عاصم بن ثابت واستسلم للاسر منهم ثلاثة منهم " خبيب " رضى الله عنه و " زيد بن الدثنة " و " عبد الله بن طارق " . وبئر معونة : وهي ايضا شبيهة بالاولى من حيث انها من نتائج أحد وكيد القبائل وعدائها للاسلام الذى كان يواريه انتصار المسلمين في بدر . حيث غدروا بسبعين من القراء من خيار المسلمين عند بئر معونة وقتلوهم واستأصلوهم حيث احدقت بهم القبائل " رعل " و " ذكوان " و " القارة " ولم ينج الا اثنان احدهما عامر بن امية الضميرى ، حيث كانا غائبين عن مسرح المعركة .

ويتضح مما تقدم ان اسباب غزوة بني النضير أمور متعددة ، مترابطة متصلة الحلقات ، على رأسها الحقد للاسلام ، والكيد للمسلمين .

فما زال اليهود منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم يكيدون للاسلام ويحرضون العرب على مجابهته ومعاداته ، ويتفننون في التشكيك بدعوته ، تارة بطرح التساؤلات والشبهات ، وتارة بتأليب الجموع على محاربة الاسلام .

---

(١) فتح البارى ٨/ ٣٣٤

ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرا ، وقابله اهلها بالحب والايمان ، ازداد حقد اليهود والمشركين على المسلمين .

فشرعوا يكيدون لهم ، فكانت غزوة بدر التي انتصر فيها الحق على الباطل ، وغلبت القلة المؤمنة الكثرة الكافرة ، هنا جن جنون المشركين واليهود ، فاخذوا يتوعدون ويهددون وكتب المشركين الى المنافقين من أهل المدينة :

يحرضونهم على اثارة الفتنة ، ولكن حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم استطاعت أن تئدها في مهدها ، وتعيد الحق الى نصابه ، فكتبوا ثانية الى اليهود : يثيرونهم فاستجاب لهم اولئك بما عندهم من خبث نية وسوء طوية .

فكانت يهود تنقض عهودها التي عاهدتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا عهدا .. ، ولا زالت قصة بني قينقاع مثلا يحتذى في بيان عاقبة الغدر والخيانة . وقد اراد يهود ذريعة يمضون بها على الحق ، ويطفئون نور الله ، فبيتوا الغدر (١) ، واراد وا استدراج الرسول ليقتلوه بحجة المناظرة بينه وبين علمائهم ففشلوا ثم كلفوا احدهم ان يلقى بحجر عظيم فوق رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد ان وعده عليه الصلاة والسلام بأن يحينوه في ديمة العامريين ، ولكنهم نسوا ان الله معه يحميه وينصره ، ويظلمه على الغيب وينتقم ممن اراد الكيد له .

فلما علم الرسول بما بيتت يهود من الغدر والخيانة ، انصرف عائدا الى المدينة فتركهم في حيرة من امرهم ، ثم ارسل اليهم رسوله يأمرهم بالخروج .

ولكن المنافقين يأبون الا ان يكونوا في جانب الباطل ، يحاربون الحق ويمنعون الخير عن المسلمين . لذلك ارسل اليهم رأس النفاق يحثهم على البقاء والمقاتلة ويمدهم بالعون والتأييد ، ولكن هيهات هيهات ان يفي من خان ربه ونبيه ودينه .

وهكذا تهيأت الاسباب واكتملت الحلقة ، فكانت غزوة بني النضير .

٣ ـ سير الحوادث :ـ

(أ) ـ فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير ، وكبر المسلمون لتكبيره ، وقال : حاربت يهود ، فسار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه فصلى العصر بفضاء بني النضير وعلى رضي الله عنه يحمل رايته واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم أ . هـ .

وفي هذا دليل على مشروعية التكبير عند التقاء الصفين ، فيكبر الامام ويكبر المسلمون لتكبيره ، ايذانا ببدء القتال .

وفيه دليل على جبن اليهود ، حيث تعجب الرسول صلى الله عليه وسلم من محاربتهم .

وفي ذلك دليل على مشروعية الصلاة بفناء القوم الكافرين ، ارهابا لهم وتثبيتا لقلوب المؤمنين ، وبيانا لعظمة ومكانة الصلاة في الاسلام ، كيف لا وقد شرعت وأمر بها في اشد ساعات الخوف ، وعند التقاء المقاتلين .

وفيه دليل على مشروعية استنابة الامام احد اتباعه لحمل راية الجهاد .

وفيه دليل على الاستخلاف على عاصمة المسلمين ومركز القيادة .

وفيه دليل على جواز استخلاف الاعمى في رعاية الشؤون العامة .

(ب) - فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة ، واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم ، وخذلهم ابن ابي وحلفاؤهم من غطفان فأيسوا من نصرهم ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم فقالوا : نحن نخرج عن بلادك ، فقال : لا أقبله اليوم ولكن اخرجوا منها ، ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة ، فنزلت اليهود على ذلك أ . هـ .

وفي قيام اليهود على حصونهم ومعهم النبل والحجارة دليل وبرهان على حرص الانسان وحبه لما له ، وبذله نفسه ونفيسه دفاعا عن هذا المال وصيانة له .

وفي اعتزال قريظة عن معونتهم دليل على خبث نوايا اليهود وانهم كما قال تعالى

- تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - وذلك الا لضعف عقولهم .

كذلك الحال في اخلاف المنافقين والمشركين موعدهم مع اليهود ونكثهم ما تعاهدوا عليه . وذلك الا انهم يقولون ما لا يفعلون . ويظهرون مالا يبطنون . ! !

وفي قطع نخيل بني النضير دليل على جواز اتلاف مال الكافر الحربي نكاية به .

وفي رضوخ اليهود لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماحه لهم بالخروج من المدينة ومنحهم ما حملت ابلهم الا الحلقة . دليل على سماحة الاسلام . وعظمته . وسعته وشموله وقوته . فالقوى هو الذى يعفو عند المقدرة . ويسمح تكرما مع قدرته على البطش والانتقام .

وفي هذا تربية عملية للمؤمنين . على الخلق القويم . الذى سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وهديه فقال : ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب (١) .

وفي رضا اليهود بحكم المسلمين دليل على جبنهم وخورهم وعجزهم عن محاربة الحق وانصاره . وقد حاصرهم فلم يقاتلهم ارهابا لهم واذلالا لان القتال لا يلجأ اليه الا عند الضرورة القصوى وحيث لا ينفع الا السيف اما حين ينفع الحصار في استسلام الاعداء وقهرهم فلا داعي للقتال ما دام ان الحصار يحقق المطلوب .

---

(١) الحديث اخرجه البخارى في صحيحه في كتاب الادب باب : الحذر من الغضب ومسلم في صحيحه في كتاب البر باب فضل من يملك نفسه عند الغضب واخرجه الامام مالك في الموطأ : كتاب حسن الخلق . واحمد بن حنبل في مسنده - ٥١٧/٢ .

(ج) ـ وكان حاصرهم خمسة عشر يوما ، فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم ، ثم اجلاهم عن المدينة ، وولى اخراجهم محمد بن مسلمة ، وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء في قومهم بمنزلة بنى المغيرة في قريش ، فلحقوا بخيبر ، وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا ١٠ هـ .

وفي ذلك دليل على جواز ارهاب الاعداء بالحصار ونحوه ، مما يخيفهم ويضعف شوكتهم ، ويفرق كلمتهم ويشتت جمعهم .

وفي تخريب بيوتهم دليل على حقد اليهود على المسلمين وحرصهم على ان لا ينتفع المسلمون بشيء من اموالهم . وفيه دليل على ما انطوت عليه انفسهم من الشح .

وفيه دليل على استنابة الامام من يتولى تنفيذ أمره بحذافيره ، وان الذى ينوب عن الامام له صلاحيات الامام فيما استنابه فيه .

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم : هؤلاء في قومهم بمنزلة بنى المغيرة في قريش . ما يدل على اصالتهم ، وانهم لم يتعرضوا للطرد والاجلاء كما تعرض له سائر اليهود .

وفي حزن المنافقين دليل على ان اهل الشر ملتهم واحدة ، وقد أبهم الكيد ومعاداة اولياء الله . ومن هنا حزن المنافقون لخرج الكافرين حزنا شديدا لانهم قد تولوهم من دون المؤمنين .

وفيه عبرة وعظة لكل مؤ من الا يحزن لفراق كافر ، ولا يتألم لعقوبة معتد ، سيما اذا كان محاربا لله ورسوله .

(د) - أخبرنا محمد بن حرب المكي وهاشم بن القاسم الكناني قالا : اخبرنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرق نخل بني النضير ، وهي البويرة ، فانزل الله تعالى : (ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على أصولها) .

أخبرنا هوذة بن خليفة ، أخبرنا عوف عن الحسن : ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أجلى بني النضير قال : امضوا فان هذا اول الحشر وانا على الاثر ، أ.هـ .

وقد تقدم القول فيه عند تفسير الاية الكريمة وبينت هناك ما فيه .

٤ - الغنائم وتوزيع النبي صلى الله عليه وسلم لها :

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموال والحلقة فوجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة سيف وأربعين سيفا ، أ.هـ .

وهذه الغنائم كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتصرف فيها بتمليك الله له ، فيهب منها ما يشاء لمن يشاء ، بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة للمسلمين .

وقد وزع جل هذه الغنائم على المهاجرين ، وترك الانصار لايمانهم وتقواهم ، الذي سجله الوحي الالهي مدحا للانصار وثناء عليهم :

(ويحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقد تقدم بيان ذلك مفصلا في ثنايا البحث .

ثم قال ابن سعد في طبقاته :

وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة له ، حبسا لنوائبه ،ولم يخمسها ولم يسهم منها لأحد وقد أعطى ناسا من اصحابه ، ووسع في الناس منها .

فكان ممن أعطى ممن سمي لنا من المهاجرين : أبو بكر الصديق بئر حجر ، وعمر بن الخطاب بئر جرم ، وعبد الرحمن بن عوف شوالة ، وصهيب بن سنان الضراطة ، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البويلة ، وسهل بن حنيف وأبو دجانة مالا يقال له مال ابن خرشة (١) اهـ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٥٩ .

من نتائج المعركة :ـ

اذا حاولنا ان نبحث عن الاهداف التي وجهت من اجلها هذه المعركة رأينا اهمها :

أولا :ـ الانتقام من الذين حادوا الله ورسوله وتمردوا على اوامره .

ثانيا :ـ اثبات ان قدرة الله فوق قدرة البشر ، وان بطشه تعالى شديد .

ثالثا :ـ اذلال المعتزين بقوتهم المادية وبيان ان القوة الحقيقية هي قوة الايمان والاعتماد على الله .

رابعا :ـ كشف المنافقين ومن على شاكلتهم ، وتزييف آرائهم واعمالهم .

خامسا :ـ تقوية ايمان المؤمنين برؤية نصر الله لاوليائه .

سادسا :ـ تطهير المدينة من خبث بني النضير ودنسهم .

سابعا :ـ رد كيد المعتدين وجعل بأسهم يعود عليهم في الوبال والخسران .

ثامنا :ـ الاثبات العملي لما ورد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في المنافقين : " آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان " (١) .

تاسعا :ـ اثبات ان المنافقين لا دين لهم ولا عهد بطريقة عملية تربي المؤمنين وتعظهم بما يرون من حالهم فلا يغتروا بمقالهم .

عاشرا :ـ بيان ان الكفار مختلفون متنافرون وان اظهروا الالفة والمحبة .

---

(١) الحديث اخرجه : البخاري في صحيحه كتاب الايمان باب علامة المنافق وكتاب الشهادات وكتاب الوصايا وكتاب الادب ، واخرجه مسلم في صحيحه كتاب الايمان ، باب : بيان خصال المنافق ، سنن الترمذي كتاب الايمان واخرجه احمد في سنده .

وبعد : فقد كانت غزوة بني النضير خطوة حازمة وموفقة وضربة قاضية وجهت الى اليهود والمنافقين معا ، فكسرت شوكتهم وملأت قلوبهم بالرعب وبذلك كف المنافقون عن اللغو والارجاف واشاعة الفتنة ، لخوفهم وضعفهم وجبنهم عن مواجهة الحق ، واما من بقي من اليهود في المدينة فخافوا على انفسهم ان يحل بهم ما حل باخوانهم فانطووا على انفسهم .

وقبع بنو قريظة في عقر دارهم يترقبون في حذر وخوف .

لهذا وذاك هدأت المدينة لفترة من الزمن غير قليلة ، مكنت الرسول والمسلمين من ان يوجهوا جهودهم الى تأديب من بقي من القبائل المغترة بقوتها ، المعتزة بعصبيتها وجاهليتها و المتمردة على الحق .

العبر والعظات من غزوة بني النضير :

تعتبر غزوة بني النضير صورة واقعية ، تصور طبيعة اليهود وما انطوت عليه نفوسهم من الغدر والخيانة الذى استحقوا بهما اللعنة الابدية على لسان نبيين كريمين من انبيائه ، هذه اللعنة التي سجلها الوحي الالهي وبين سببها الذى هو الاتفاق على الباطل وعدم الدعوة الى الحق فقال عز وجل : " لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) المائدة (٧٨ - ٨١).

فهذه الايات تبين أصدق بيان طبيعة اليهود ، تلك الطبيعة التي تجلت بوضوح في غزوة بني النضير وغيرها من الغزوات ، التي تعرضوا لها ونقضوا عهد الله ورسوله) وتنكروا لما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتفاق ويتوا الغدر والخيانة واظهروا الود والثبات .

واذا كان لنا ان نستلهم من هذه الغزوة عبرا وعظات تنفعنا في مستقبل أيامنا فاننا نجد فيها من العبر والعظات مايلي :

أولا :- ما حدث فيها من المعجزة وهي اخبار الله عز وجل بما بيته اليهود في السر من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا الاخبار الذي يعتبر معجزة من معجزات النبوة وعلامة واضحة على انه رسول الله حقا وصدقا .

والمعجزة هي واحدة الدلائل من الامور الخارقة للعادة التي لا يستطيع البشر القيام بها الا بتأييد الله ، فهي الدليل على صدق من حصلت على يديه كانه سبحانه يقول : صدق عبدي فيما يدعيه . ولا بد في المعجزة من ان تجيء بواسطة لدعوى التحدي وخارقة للعادة ، لا يستطيع البشر أن يأتوا بها على مر الايام وتوالي السنين .

ولقد ذكر القرطبي رحمه الله في مقدمة تفسيره تعريف المعجزة وشروطها فقال : (١)

المعجزة واحدة معجزات الانبياء الدالة على صدقهم وسميت معجزة لان البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها . وشرائطها خمسة اذا اختل منها شرط لا تكون معجزة :

الشرط الاول : ان تكون مما لا يقدر عليه الا الله . كخلق البحر ، وانشقاق القمر وما شاكلهما مما لا يقدر عليه البشر .

الشرط الثاني : ان يخرق العادة : كأن يقلب العصا ثعبانا ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة ، او ينبع الماء من بين اصابعه كما ينبع من العين ، او ما سوى ذلك من الايات الخارقات للعادات ، التي يتفرد بها جبار الارض والسموات . فاذا ما جاء شخص وادعى النبوة واستدل بدعواه بهذه العلامة ، تقوم له هذه العلامات مقام قول الرب

---

(١) احكام القران للقرطبي ج ١/ ٦١ ، ٦٢ .

سبحانه لو أسمعنا كلامه العزيز وقال : صدق عبدي أنا بعثته ،

الشرط الثالث: هو ان يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل فيقول : أي ان يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتا او يحرك الارض عند قولي لها تزلزلي ، فاذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدى به ،

الشرط الرابع : هو ان يقع على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة له ، وانما وجب اشتراط هذا الشرط لانه لو قال المدعي للرسالة آية نبوتي ودليل حجتي ان تنطق يدي او هذه الدابة فنطقت يد ، او الدابة بان قالت : كذب وليس هو نبي ، فان هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي للرسالة ، لان ما فعله الله لم يقع على وفق دعواه ، وكذلك ما يروى ان مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل في بئر ليكثر ماؤها ففارت البئر وذهب ما كان فيها من الماء ، فما فعل الله سبحانه من هذا كان من الايات المكذبة لمن ظهرت على يديه ، لانها وقعت على خلاف ما اراد المتنبي الكذاب ،

الشرط الخامس: من شروط المعجزة :

ألا يأتي احد بمثل ما أتى به المتحدى على وجه المعارضة ، فاذا تم الامر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة ، فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت

على يده ، فان اقام الله تعالى من يعارضه حتى ياتي بمثل ما اتي به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبيا ، وخرج عن كونه معجزا ولم يدل على صدقه .

ولهذا قال المولى سبحانه (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) - الطور - ٣٤ وقال : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) يونس ٣٨ - ، كأنه يقول : ان ادعيتم ان هذا القرآن من نظم محمد صلى الله عليه وسلم وعمله فاعملوا عشر سور من جنس نظمه ، فاذا عجزتم بأسركم عن ذلك فاعلموا انه ليس من نظمه ولا من عمله ، اهـ .

هذه المعجزة لم ترق لكثير من الناس فحاولوا تشويهها باسلوب اقل ما يمكن ان يقال فيه انه اسلوب التشكيك والدس واستعمال العبارات الرقيقة للمعاني الفاسدة ، ودس السم في العسل فاستعملوا بدل كلمة الوحي الالهام .

هذه الكلمة التي يشارك فيها النبي سائر الناس ، فاستعمالهم لهذه الكلمة تضييع لصفاة النبوة ، التي هي في حقيقتها وجوهرها العبودية الخالصة لله والتأييد الخاص من الله لمن اتصف بها .

والله يؤيد رسله وقد حقق ما وعد به رسوله صلى الله عليه وسلم) في قوله : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين) - المائدة ٦٧ - .

ثم ان اطلاع الله رسله على ما يشاء من الغيب حقيقة ثابتة سجلها الوحي بقوله :

(عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ـ الجن ٢٦ـ٢٧ـ .

كيف لا وفي اطلاعه على هذا الغيب تأمين لسلامته ونصرة له من كيد من اراد وا الكيد له ، وتقوية لايمان المؤمنين بابلاغهم عن مغيبات تتحقق وتصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما انكار المعجزات وتأويلها عن ظاهرها بالاساليب المختلفة او بتمويه الحقائق الا دليل على ضعف الايمان فالحديث عن المعجزات الثابتة يقوى الايمان والافراط فيه بتعداد معجزات خارقة للعادة غير ثابتة ، يؤدي الى تشكيك المسلمين سواء بسواء ، كتأويل المعجزات الثابتة وتسميتها باسماء تصرفها عن جوهرها كالالهام والعبقرية والقيادة .

والطريق الوسط هو اقرار المعجزات الثابتة والتصديق بها وعدم المبالغة في تصوير معجزات لا أصل لها .

ثانيا - الفيء وما فيه من الاحكام الفقهية :

١ - تعريف الفيء :

الفيء في اللغة : الرجوع قال تعالى : (حتى تفيء الى امر الله) - الحجرات ٩ - اى حتى ترجع الى الحق . وقد سبق ان بينا معنى الفيء في اللغة والمناسبة بينه وبين المعنى الاصطلاحي . والغنيمة الفوز بالشيء بمشقة . وقد يستعمل الفيء للغنيمة الا ان الفيء غنيمة مخصوصة ، لم يوجف عليها المسلمون خيلا ولا ركابا بل جاءهم منحة من الله .

فعلى هذا رأى بعضهم ان بين الفيء والغنيمة عموما وخصوصا مطلقا اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا ، فكل فيء غنيمة الا ان بعض الغنائم ليست بفيء بل تعب المسلمون في الحرب والجهاد لتحصيلها (١) .

وهذه التفرقة الاصطلاحية مبنية على فحوى الايات التي تكلمنا عليها في شأن اموال بنى النضير .

٢ - قسمة الغنائم :

اتفق الفقهاء على جواز قسمة الغنائم بين الغانمين مستدلين بعموم قوله تعالى : في سورة الانفال : (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) - الانفال ٤١ - .

فبينت الاية وجوب اعطاء خمس الغنيمة لهؤلاء او بعبارة اخرى لامير المؤمنين

---

(١) حاشية البجيرمى على الخطيب للشيخ سليمان البجيرمى ٤/٢٢٨ ، مغنى المحتاج ٣/٩٢ ، البحر الزخار ٦/٤٦ .

أو الحاكم المسلم يصرفها في المصالح التي حددتها الاية .

والاربعة الاخماس الباقية ملك للغانمين من غير خلاف بين الامة . ووجه الذى استدلوا به : اسناد الملك الى غانميه بقوله : (واعلموا أنما غنمتم) فأضاف الغنيمة الى الغانمين فكأنه ملكهم اياها ثم نزع منهم الخمس فبقي لهم الاربعة اخماس (١) .

وقد بينته السنة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أيما قرية أتيتموها وأقمتم بها فسهمكم فيها وايما قرية عصت الله ورسوله فان خمسها لله ورسوله ثم هي لكم) (٢)

فالمراد بالقرية الاولى : الفيء . ويصرف مصارفه . والمراد بالقرية الثانية : ما أخذ عنوة فيكون غنيمة . يخرج منه الخمس وباقيه للغانمين وهو معنى قوله : " ثم هي لكم " أي باقيها .

قال الخطابي (٣) : فيه دليل على ان ارض العنوة حكمها حكم سائر الاموال التي تغنم وأن خمسها لاهل الخمس وأربعة أخماسها للغانمين .

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٦٨ . احكام القران لابن العربي ٢/ ٨٥١ .

(٢) شرح مسلم للنووي ١٢/ ٦٩ .
سنن ابي داود كتاب الخراج والامارة والفيء باب في ايقاف ارض السواد وارض العنوة .

(٣) هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي . ابو سليمان . فقيه محدث من نسل زيد بن الخطاب (اخي عمر) له كتب منها " معالم السنن " شرح ابي داود مجلدان توفي ٣٨٨ هـ .

وقد ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم قسم خيبر بين الغزاة بعد ان فتحت عنوة (١) ، وقسم ايضا اموال بني قريظة (٢) ، وعلى هذا سار النبي الكريم فكان يقسم الغنائم بين الغانمين بعد ان يعزل خمسها للمصارف المحددة في اية الانفال . وقد اختار امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان لا تقسم الارض المفتوحة عنوة بل تحبس لعموم المسلمين وهذا الرأى مدعاة الى تحقيق المصالح العامة ، فان قسمة الارض بين الغانمين تضييع لحق الذين لم يقاتلوا ، ولحق من ياتي بعدهم ، وهذا اجتهاد من عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقره الفقهاء من بعده .

فكان راى عمر ان تترك الارض ولا تقسم . وهذا قدر مشترك متفق عليه بين الائمة الا انهم اختلفوا في اعتبار القسمة امرا ملزما لولى الامر ، ام ان له الخيار في خصال اخرى ؟

فقال الشافعية والظاهرية ورواية عن المالكية :

يجب قسمة الارض بين الغانمين كسائر الاموال وانه يسوى بين العقارات والمنقولات اذ لا موجب للتفرقة لان كلا منهما مال جاء من اهل الحرب بطريق القهر والغلبة مستدلين بالعموم في اية الانفال : (واعلموا انما غنمتم من شيء) لوجوب القسمة المتفق مع فعله صلى الله عليه وسلم الذى يجرى مجرى البيان للمجمل ، والتخصيص للعام . (٣)

---

(١) شرح مسلم ١٢/١٦٤ ، سنن ابي داود كتاب الخراج والفيء باب ما جاء في حكم ارض خيبر ، نيل الاوطار ٨/١٥ .

(٢) شرح مسلم ١٢/٩١ ، زاد المعاد ٢/٦٨ ، العيني على البخارى ١٥/٤٦

(٣) مغنى المحتاج ٤/٢٣٤ ، مجمع الزوائد ٥/٣٤٠ ، بداية المجتهد ١/٤٠١ .

وأما ايـة الحشـر " وما افاء الله على رسـوله منهم " فهي في الفيء على ما هو الظاهر منها ، وعلى هذا تكون الايتان ليستا على معنى واحـد بل هما متباينتان ، واستدلوا لما ذهبوا اليه من القول بان على الامام اذا لم يقسـم الارض ان يستطيب للغانمين ، كما استطاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم أنفس الغانمين يوم حنين ممن صار في يديه سـبي هوازان ، الا ان الحديث عن سـبي هوازن لا يصلح للاحتجاج في موضوع الارض فموضوع الارض مختلف ، ذلك ان السبي اموال منقولة والارض مـال غير منقول ،فظهـر الخـلاف بينهما لكن للشـافعية ومن قال بقولهم ان يقولوا انه لا فرق بين الاموال المنقولة وغير المنقولـة وعلى هذا يسـلم لهم الدليل من وجهة نظرهم .

وكما فعل في خيبر وبني قريظـة (١) . وكما استطاب عمر بـن الخطاب الغانمين بعد فتح سـواد العراق بعوض اوبغيره ، فصارت الارض وقفا اى فيئـا بعد ان كانت غنيمـة .

فقد اعطى عمر جريرا البجلي عوضا من سـهمه ، وأعطى امرأة بجليـة عوضا عن سـهم ابيها .

وقال المالكية في المشهور عنهم : تصبح الارض وقفا بمجرد الاسـتيلاء عليها دون حاجة لصيغة من الامام ، ولا لتطييب أنفـس المجاهدين ، واحتجـوا بفعل عمر رضي الله عنه حيث وقف الاراضي التي افتتحها كمصر والشام والعراق (٣)

---

(١) البداية والنهاية ٤/ ٣٥٢ ، سـنن البيهقي ٩/ ٦٤ و ١٣٦ .
(٢) مغني المحتاج ٤/ ٢٣٤ .
(٣) القوانين الفقهية لابن جزى ١٦٨ .

وقال الحنفية والحنابلة ومن معهم :

ان الاصل المقرر ان يكون للامام الخيار في الاراضي ، فله ان يقسمها وله ان يتركها وقفا اى ملكا ، وعمر رضي الله عنه قد استعمل حقه ، فقرر ان تكون وقفا اي ملكا للجماعة المسلمة اي ان ملكية الرقبة للدولة ، وملكية المنفعة فقط لاهلها القائمين عليها ، واستدل الجمهور في اعطاء الخيار للامام في وقف الارض او قسمتها بين الغانمين بما استدل به عمر فيما ذهب اليه :

ان اية الانفال " واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول " واية الحشر : " وما افاء الله على رسوله منهم " .. الخ الايات .. هاتان الايتان في الانفال والحشر ، واردتان في موضوع واحد ، ولكن اية الانفال عامة في الارض وغيرها واية الحشر خاصة اخرجت الارض فجعلتها فيئا للمسلمين وبقيت الغنائم على اصلها ، الخمس لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاربعة اخماس للغانمين اما الارض فتبقى وقفا للمسلمين .

ووجه التخيير في ذلك ان اية الحشر لما جعلت الارض فيئا لعموم المسلمين فكان لأمير المؤمنين الخيار في ان يقسمها على الغانمين او يحبسها لهم (١) .

قال الجصاص : (٢)

فيكون تقدير الايتين بمجموعهما : " واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه .. في الاموال سوى الارضين ، وفي الارضين اذا اختار الامام ذلك ، " وما افاء

---

(١) القوانين الفقهية لابن جزى ١٦٨ـ١٧٠ ، بداية المجتهد لابن رشد ١/ ٤٠٣

(٢) احكام القران للجصاص ٣/ ٤٣٠ .

الله على رسوله " من الأرضين فلله وللرسول ان اختار تركها على ملك اهلها ويكون ذكر الرسول ها هنا تفويض الامر اليه في صرفه الى من رأى فاستدل عمر رضي الله عنه من الاية بقوله : (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) وقوله تعالى : (والذين جاءوا من بعدهم " وقال لو قسمتها بينهم لصارت دولة بين الاغنياء منكم ، ولم يكن لمن جاء بعدهم من المسلمين شيء ، وقد جعل لهم فيها الحق بقوله ـ والذين جاءوا من بعدهم ـ أ.هـ .

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد عمل باية الانفال ، وعمر قد عمل باية الفيء وليس فعل النبي صلى الله عليه وسلم براد لفعل عمر ، وكلا الحكمين فيه قدوة ومتبع من الغنيمة والفيء (١) .

قال عمر فيما رواه عنه ابو داود : فاستوعبت هذه الاية ـ اية الحشر ـ الناس الى يوم القيامة (٢) . وقال فيما رواه ابن ابي شيبة والبيهقي : (والله ما من احد من المسلمين الا وله حق في هذا المال اعطي منه او منع حتى راع بعدن) (٣) .

الدليل الثاني :

فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ثبت عنه انه استولى على بعض البلاد عنوة فلم يقسم بعض ما استولى عليه وقسم بعضه الاخر . فدل هذا على ان الامام مخير في الارض ان شاء قسمها ـ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض خيبر ـ وان شاء امسكها ـ كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض اراضي مكة ـ بناء على القول بأنها فتحت عنوة (٤) .

---

(١) الاموال لابي عبد القاسم بن سلام ص ٧٦ .

(٢) سنن ابي داود كتاب الخراج والامارة والفيء باب في تدوين العطاء . القسطلاني على البخاري ٥/ ٢٠٨ .

(٣) سنن البيهقي ٦/ ٣٥١ .

(٤) بداية المجتهد ١/ ٤٠٣ .

الدليل الثالث :

اجماع الصحابة رضي الله عنهم السكوتي فيما راه عمر حينما فتح العراق فلم ينقل عنهم انهم عارضوا عمر فيما فعل من حبس اراضي العراق في ايدي اهلها واخذ الخراج على اراضيهم منهم ، بمحضر من الصحابة محتجا باية الحشر (١) .

فان قيل : لا تتم دعوى الاجماع لان بلالا وسلمان خالفا عمر ، فيرد على ذلك بانهم وافقوه بعد ذلك بدليل ما قاله ابو هريرة : قد دعا عمر رضي الله عنه على المنبر وقال : اللهم اكفني بلالا واصحابه ، فلم يحمدوا وندموا ورجعوا الى رأيه .

ويتلخص من هذا انه قد حصل بدلالة الكتاب والسنة واجماع السلف تخيير الامام في قسمة الأرضين او تركها ملكا لاهلها ووضع الخراج عليها .

ولعل راى عمر هو الارجح : وهو الذي شهد له الكتاب والسنة ـ كما بينا ـ ومراعاة لمصلحة المسلمين العامة ، حيث تبقى الاموال ملكا للجماعة المسلمة بدلا من ان يستغلها الافراد ويستأثروا بها على العامة ، اذ قد ثبت ان القسمة وعدمها امر متروك للامام يختار ما فيه المصلحة العامة ، وقد رأى عمر ما رأى بناء على ذلك ، قال الطحاوى (٢) معللا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر ـ من قسم بعض الاراضي وترك بعضها الاخر ـ لمصلحة فقال :

---

(١) القسطلاني ٥/ ٢٠٧ .

(٢) القسطلاني ٥/ ٢٠٧ ، والطحاوي هو احمد بن محمد بن سلامة الازدي الطحاوي ابو جعفر فقيه انتهت اليه رئاسة الحنفية بمصر توفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ .

فعلمنا من ذلك انه قسم وله ان يقسم ، وترك وله ان يترك ، فثبت بذلك ان هذا حكم الاراضي المفتوحة ، للامام ان يقسمها ان راي ذلك صلاحا للمسلمين ، وقد فعل عمر ذلك في ارض السواد باجماع الصحابة ، فتركها للمسلمين ارض خراج لينتفع بها من كان في عصره من المسلمين ومن بعدهم ؟ اهـ .

وقال الامام مالك في رواية عنه :

ان رأي الامام قسمة الارض كان صوابا ، او ان اداه الاجتهاد الى ان لا يقسمها لم يقسمها (١) .

وبناء عليه فقد خص النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين باموال بني النضير دون الانصار ، وهذا يدل على ان للامام الخيار في توزيع الفيء على من يشاء من المسلمين .

وبعد :

فالذي يهمنا في موضوع الغنائم في غزوة بني النضير الحكمة البالغة التي ذكرها القرآن معللا بها ما امر به من تقسيم الاموال على من ذكر في الاية حيث قال :

ـ كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم ـ فالشريعة المطهرة تحوص على ان يكون المال عصب الحياة ينتفع به الناس كل الناس فقيرهم وغنيهم ـ على حد سواء ـ فلا تستأثر به طائفة على طائفة وجماعة على جماعة لتترك غيرها يقاسي آلام الفقر والجوع ، ولذلك اهتم القران بالمال فبين موارده ومصارفه

---

(١) القوانين الفقهية ١٦٩ .

ومنع ما فيه غش وضرر واحتكار وغير ذلك ، مما يسيء الى الجماعة المسلمة كل ذلك لتبقى الامة متماسكة متحدة تحب بعضها البعض وتشد من أزر أعضائها كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (١) .

وهذا المبدأ الذى تضمنته هذه السورة الكريمة بشأن المال تربية للمؤمنين على ان يكون المال وسيلة لا غاية ، وعنصر خير لا داعية شر ، ويد مساعدة لا يد بطش وانتقام ، وداعية محبة لا داعية تنافر واختلاف ، وان اردت التاكد مما اقول فانظر الى المهاجرين والانصار كيف صاروا بعد غزوة بني النضير .

---

(١) الحديث اخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الادب باب رحمة الناس والبهائم ، واخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم واخرجه احمد في مسنده .

ثالثا ـ قطع نخيل بني النضير وما فيه من الدلالات :

وهنا ارى لزاما علي ان اتحدث عما في قطع نخيل بني النضير من العبر والعظات وما استنبطه الفقهاء الاجلاء من هذه الحادثة المعينة ليتبين الناس سماحة الشريعة الاسلامية وشمولها وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

فأول ما يطالعنا في هذه الحادثة جواز التنكيل بالاعداء ، باتلاف اموالهم لاستثارتهم وبالتالي زحزحتهم عن حصونهم لينكشفوا للمقاتلين من المسلمين . ثم ان في قطع النخيل تحديا لهم ، واظهارا لعجزهم وضعفهم وعدم قدرتهم على حماية اموالهم ، فتتحطم معنوياتهم ويتقهقرون فينهزمون لان للروح المعنوية اثرا عظيما في نجاح المقاتل او فشله ، لذلك حرص الاسلام على رفع الروح المعنوية بطريقة عملية هي في الانتصار الذى مهد له باسباب ظاهرة يسيرة كقطع نخلة او نحوها ولقد نبه القران الى ذلك بقوله : (ولنخزى الفاسقين) أى يذلهم ويقهرهم باظهار ضعفهم وعجزهم عن حماية اموالهم وممتلكاتهم .

وقد اذن الله في اتلاف اموال الاعداء ارهابا لهم كما اذن في قتل من حارب الله ورسوله وتنكر لطريق الحق ، وصد الناس عن عبادة الله ، وبيت الله ودين الله ، فيجوز اتلاف ماله ان كان في ذلك مصلحة كدفع اذاه ومنعه من الاستفادة منه في محاربة المسلمين او اذلاله بايلامه وحسرته على ماله الضائع فان الانسان فطر على حب المال والسعي في تحصيله وحمايته .

ولقد قال بذلك فقهاء معتبرون من اتباع الائمة المجتهدين منهم ابن الهمام

من الاحناف صاحب فتح القدير (١) ، وابن حزم امام اهل الظاهر (٢) ، وابن رشد الحفيد من المالكية (٣) .

ولعل خير من فصل القول في هذه المسألة الامام ابن قدامة صاحب المغني حيث يقول (٤) : وجملته ان الشجر والزرع ينقسم ثلاثة اقسام :

احدها ، ما تدعو الحاجة الى اتلافه كالذي يقرب من حصونهم ومنع من قتالهم او يستترون به من المسلمين او يحتاج الى قطعه لتوسعة طريق او تمكن من قتل أو سد نتق (٥) او اصلاح طريق او ستارة منجنيق او غيره ، او يكونون يفعلون ذلك بنا فيفعل بهم ذلك لينتهوا فهذا يجوز بغير خلاف نعلمه .

الثاني ، ما يتضرر المسلمون بقطعه لكونهم ينتفعون ببنائه لعلوفتهم او يستظلون به او يأكلون من ثمره او تكون العادة لم تجر بذلك بيننا وبين عدونا فاذا فعلناه بهم فعلوه بنا فهذا يحرم لما فيه من الاضرار بالمسلمين .

الثالث ، ما عدا هذين القسمين مما لا ضرر فيه بالمسلمين ولا نفع سوى غيظ الكفار والاضرار بهم ففيه روايتان :

احداهما : لا يجوز لحديث ابي بكر ووصيته وقد روى نحو ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولان فيه اتلافا محضا فلم يجز كعقر الحيوان وهذا

---

(١) فتح القدير ٥/٤٤٦

(٢) المحلى لابن حزم ٧/٢٩٤ .

(٣) بداية المجتهد ١/٣٨٦ .

(٤) المغني ٩/٢٩١ .

(٥) ورد هكذا في المغني ولكن لعله تصحيف من ـ فتق ـ لان نتق يناسب المعنى بتكلف بخلاف ـ فتق ـ فان معنى ـ نتق ـ الزعزعة والهز وهذا لا يحتاج الى سد .

قال الاوزاعي والليث وابو ثور .

والرواية الثانية : يجوز وبهذا قال مالك والشافعي واسحاق وابن المنذر قال اسحاق التحريق سنة اذا كان انكى في العدو . لقوله تعالى : (ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين) .

وروى ابن عمر : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع وهو بالبويرة (١) اهـ .

وبهذا تتضح المسألة فيظهر مكان الاتفاق والاختلاف فيها ، فالمسلمون متفقون في جواز قطع الأشجار واتلاف اموال الاعداء اذا كان في ذلك مصلحة ومتفقون على انه لا يجوز اذا كان فيه ضرر .

والخلاف انما هو في اتلاف اموال الاعداء التي ليس للمسلمين في اتلافها مصلحة لكن في اتلافها اذلال للكفار .

وقد اختلفت وجهات النظر في ذلك فبعضهم رجح رأى ابي بكر وبعضهم رجح ما وقع في غزوة بني النضير .

ومهما يكن من شيء فان الامر متروك لامام المسلمين يرى فيه رأيه ويامر بما فيه المصلحة العامة مراعيا حالة المسلمين وظروف المعركة وغير ذلك

---

(١) سبق تخريجه وهو في صحيح البخارى كتاب المغازى باب امر بني النضير .

كما اختلف رأى ابى بكر في هذه المسألة فمرة أمر بقطع الاشجار ، واخرى نهى عنها فهذا يدل على ان الامر متروك لامام المسلمين يرى فيه رأيه . وبهذا علل الشافعي نهى ابي بكر لخالد عن قطع الاشجار المثمرة حينما وجهه الى بلاد الشام حيث قال :

" ولعل أمر أبى بكر بأن يكفوا عن ان يقطعوا شجرا مثمرا ، انما هو لانه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر أن بلاد الشام تفتح على المسلمين ، فلما كان مباحا له أن يقطع ويترك ، اختار الترك نظرا للمسلمين " (١) أ.هـ

قال ذلك (٢) يجمع بين ما ثبت عن ابي بكر من امر خالد بقطع الاشجار حينا وجهه الى طليحة وبني تميم ، مع انه قد نهاه عن قطع الاشجار حينما وجهه لفتوح الشام .

وهذا يدل على ان الامر متروك للامام - كما قدمنا - وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع اربع نخلات ، وهذا يدل على انه يكفى في الارهاب اتلاف بعض المال دون جميعه .

الا اذا كان المال من المواد الحربية التي تستخدم ضد المسلمين ، فانه يجوز اتلافها جميعها او اخذها من الكفار قهراً - كما قدمنا - والله اعلم .

---

(١) الأم ٧/ ٣٢٤ .

(٢) لعل اللفظ فان ذلك .

رابعا - اجلاء بني النضير :

وفي اجلاء بني النضير عبرة وعظة للكافرين والمؤمنين - على حد سواء - فان القوم لما حادوا الله ورسوله ، وسلكوا سبيل الغواية أذلهم الله فاخرجهم من ديارهم التي هي احب البقاع اليهم .

وهذا يدل على انه يجوز اجلاء الكفار من ديارهم تأديبا لهم وردعا لامثالهم ليذوقوا ألم الغربة وفقد الوطن ، ويعلموا انهم كانوا خاطئين فيما فعلوا من المنكر .

لكن هل هذا الحكم ثابت يجوز للامام ان يأمر به أم هو منسوخ بآية السيف ؟

ان المتتبع لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم يرى انه لم يأمر باجلاء أحد بعد بني النضير بل أمر بقتلهم ، كما فعل ببني قريظة وصالح اهل خيبر على ان يعملوا بأجر معين الا انه أمر باخراج اليهود من جزيرة العرب ، هذا الاخراج نفذه عمر وقد كانوا معاهدين يدفعون الجزية لكن اقتضت المصلحة الدينية ابعادهم لتكون جزيرة العرب حصن الاسلام الحصين لا يجتمع فيها معه دين .

وقد شرع الله تغريب الزاني ردعا له هكذا تغريب الكافر فيه تأديب الا انه مظنة لتجمع الكفار وتألبهم على حرب المسلمين من هنا كان الرأى الأصوب ان يقتل من حارب الله ورسوله من الكافرين او تفرض عليهم الجزية فيخضعون للحكم الاسلامي وينضوون تحت لوائه . واذا تتبعنا ما روى في صفة خروج بني النضير رأيناه يصور نفسية اليهود أصدق تصوير فيظهرون على حقيقتهم مخادعون يظهرون ما لا يبطنون ، معاندون يتجلدون فلا يظهرون الضعف (١) ، متكبرون يغترون بقوتهم المادية ، ويظنون انها تغنى عنهم من الله شيئا ، خسئوا وخابوا فقد تفرقوا في الارض وعاشوا أذلاء الى ان تغير حال المسلمين ، واعرضوا عن ربهم ، ونبذوا تعاليمه وراء ظهورهم واتجهوا الى المبادئ المستوردة والفكر الغربى والشرقي فاغروا بالحضارات المادية الزائفة فسلط الله عليهم من الذل والهوان ما لن يرفعه حتى يعودوا اليه وصار لليهود الاذلاء دولة وسلطان فكان ما نراه ونسمعه ونقاسيه من موازرة الوثنيات والصليبيات ممن يتكلم باسمهم ويعاضدهم ولكنها فترة من الزمن تمضى ، ويعود الحق الى نصابه وينتصر أهله .

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٢ / ٥٥٤ فقد روى انهم خرجوا في فرح وقيانهم يضربن الدفوف في موكب لم ير مثله ليظهروا الجلد .

خامسا - أفعال بني النضير قبل خروجهم من المدينة :

تذكر كتب السيرة ان بنى النضير حينما عزموا على الجلاء عن المدينة تجهزوا لذلك ، فحملوا ما استطاعوا ان يحملوه من الامتعة وغيرها مما خف حمله وغلا ثمنه ، وبقيت اشياء عز عليهم ان ينتفع المسلمون بها فحاولوا اتلافها او تخريبها بجعلها غير صالحة للاستعمال .

ولقد سجل القرآن فعلهم الشنيع عبرة وعظة لمن كان له قلب فقال عز وجل : (يخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار) .

فهذا يدل على خبث طويتهم وسوء نيتهم ، وما في انفسهم من حقد وحسد للاسلام وأهله ، دفعهم ذلك الى اتلاف اموالهم بأيديهم ، وهذا منتهى الحمق .

وقد زاد في غيظهم أن رأوا المسلمين يساعدونهم في تخريبها ليثبتوا لهم وأنهم غير حريصين على حطام الدنيا ، وأنهم انما يقاتلون اعلاء لكلمة الله ونصرة لدينه واظهارا للحق .

الفصل الثالث

" بنو النضير من خلال السورة "

- كيف تحدثت السورة عن بنى النضير .
- أثر التربية في حياة الانسان .
- الشبه الواضح بين اليهود والمنافقين .
- منهج القرآن الكريم في تعليم المؤمنين وتربيتهم على مواجهة مشاكل المجتمع .

٥ ٥ ٥

الفصل الثالث

بنو النضير من خلال السورة

كيف تحدثت السورة عن بني النضير :

ان القارئ لسورة الحشر بتمعن يلاحظ انها تحدثت عن بني النضير حديثا مسهبا فبينت قوتهم وقدرتهم على الحرب ونعم الله عليهم وما كان من امرهم فيها .

وها نحن نستعرض بالتفصيل ما ذكرته السورة عنهم من مطلعها الى خاتمتها فنقول :

بعد أن استفتحت السورة بالتسبيح لتبين للناس ان كل ما في هذا الوجود موءمن بربه مسبح بحمده ، شاهد عدل على وجوده سبحانه وكمال قدورته وعظمته وانه غالب يضع الامور في مواضعها ، فلا يقدر عليه احد بل جميع من في السموات والارض خاضع له متذلل بين يديه انتقلت الى الحديث عن بني النضير فذكرت من صفاتهم انهم :

(الذين كفروا من اهل الكتاب) .

فقوله : (الذين كفروا) بيان لعلة استحقاقهم للعقوبة التي استحقوا بها الاخراج من المدينة (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم) فان الكفر ستر لنعم الله وطمس لها واخفاؤها بدل اظهارها وشكرها ثم هو بعد ذلك استخدام لها في محاربة المنعم ورسوله والموءمنين ، بدل ان تجعل وسيلة لنصرة الحق والدفاع عنه .

فاستحقوا بذلك الطرد والابعاد من المدينة المنورة فحرموا مجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعمة الايمان به وتصديقه .

وقد ظهر من خلال السورة ان بنى النضير قوم اقوياء اصحاب حصون منيعة لا يزحزحهم عنها شيء كل ذلك لبيان نعمة الله على المؤمنين الذين ما كان باستطاعتهم لولا تأييد الله ونصرته أن ينتصروا عليهم وانظر ان شئت الى قوله : (ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) تجد ان الاية ارتنا بنى النضير قوما اقوياء يعترف بقوتهم المؤمنون الى حد انهم لا يظنون ان باستطاعتهم اخراجهم من حصونهم وطردهم منها . كما بينت ان بنى النضير قد اغتروا بهذه القوة المادية فطغوا وبغوا وعتوا عن امر ربهم فماذا كان من أمرهم ؟

تجيب الاية لتقول : (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) ومن يحاربه الله هل يستطيع ان ينصره احد .

لقد عاملهم الله بعملهم فسلط عليهم عدوا من انفسهم (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف الشديد الذى يمنعهم من التفكير ويشل حركتهم ويدفعهم الى فعل ما لا ينبغي فعله ، يدفعهم الى ايقاع الضرر بانفسهم واموالهم بأيديهم . انه العدو الذى يذل الانسان ويقهره ويجعله يتصرف وكأنه لا عقل له ولا هدف . اسمعه يقول (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين)

واذا شرع الانسان في تخريب بيته فقد وصل الى الدرجة السفلى من الانحطاط وسوء العمل والتفكير لان الانسان بطبعه يحرص على عمارة بيته وحفظه وصيانته ويبذل في ذلك النفس والنفيس ، لكن اذا تسلط عليه الخوف واليأس وقنط من رحمة الله تصرف بحمق وغباوة فأتلف ماله بيده ، لذلك كان الرعب من اشد أسلحة الفتك في الجيوش المقاتلة .

ولذلك حرص القواد على ان يجتبوا الجنود الخوف وأسبابه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

والرعب الذى حاق ببني النضير خوف قذفه الله في قلوبهم فاصمهم وأعمى ابصارهم .

وهنا تلفت السورة نظر المؤمنين الى وجوب الاعتبار والاتعاظ بما وقع للكافرين فقديما قيل : (السعيد من وعظ بغيره) فيقول عز وجل :

(فاعتبروا يا أولى الأبصار) يا أصحاب البصائر تفكروا وتدبروا وانظروا في الاسباب والنتائج تعلموا عدالة الله وحكمته وقدرته . فلا تقعوا فيما وقع فيه هؤلاء .

والحذر الحذر من التساهل والتفريط قبل فوات الأوان .

ونتيجة لاخراجهم من حصونهم ومزارعهم فقد وضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على اموالهم ومزارعهم وتصرف فيها بأمر الله واذنه .

هذا وان اجلاء بنى النضير عن المدينة لا يحفيهم من عذاب الاخرة وان حفظ لهم انفسهم واموالهم في الدنيا : (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا) .

الا انهم في الاخرة قد استحقوا عذاب النار بما وصفهم به من كفر وتكذيب وغير ذلك مما ورد في هذه السورة :

(ولهم في الاخرة عذاب النار) .

وقد بينت السورة الاسباب الموجبة لهذا العذاب في موضعين أولهما في بداية الحديث ـ كما قدمنا ـ وثانيهما حين علل استحقاقهم عذاب النار بقوله : (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله) أى وقفوا في شق غير شقه وسلكوا طريقا غير طريقه الذى رسمه لهم والتمسوا هدى من غير كتابه فهل يفلح من كانت هذه حاله في الدنيا وينجو في الاخرة من عذاب النار ؟

يأتى الجواب في جملة شرطية وقاعدة كلية ليعم الحكم جميع الناس ممن يختار منهجا غير منهج الله وما شرعه على لسان رسوله (ومن يشاقق الله ورسوله) فصدر جملة الشرط بمن التي هي من صيغ العموم ليكون الحكم شاملا لجميع من تحقق فيه الشرط ، وعدل عن جواب الشرط الى لازمه ليهدد ويتوعد فيزجر الناس عن مخالفة امره والوقوع في حبائل الشيطان : (فان الله شديد العقاب) واذا كان شديد العقاب فمن يجرؤ على مشاقته ومخالفته مهما كانت قوته ؟!

وفي الحديث عن قطع النخل صفة كاشفة لليهود تدل بوضوح على انهم قوم جبناء لا يقدرون على دفع الضر عن انفسهم مهما كان صغيرا كقطع نخلة . واذا بحثنا عن سبب جبنهم بدقة علمنا انه الفسق والخروج عن طاعة الله . ذلك ان العاصي يخشى الفضيحة ويخاف ان يعيره الناس بما صنع ، ثم ان الانسان اذا تمرد على اوامر الله وتنكر لطريق الحق ، خذله الله فأذله وأخزاه .

وانظر الى الاية : (ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين) .

وقد أخزاهم فأجلاهم عن المدينة مشردين أذلة وان اظهروا العزة والفرح والسرور منكسرى القلوب وان اظهروا الصبر والتجلد .

ويخرج اليهود من المدينة أضحت أموالهم ومزارعهم فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوجف عليها المسلمون خيلا ولا ركابا ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء .

وبهذا نتبين صدق الوعد الذى تفضل به رب العالمين على عباده بأن ينصرهم على من عاداهم ويجعل دينه هو الغالب وكلمته هي العليا ويتحقق وعد الله لرسوله بحفظه وتأييده بالفوز والغلبة (الا ان حزب الله هم المفلحون) - المجادلة ٢٢ - وهذا درس عملي يربى المؤمنين بطريقة عملية لا بخطب ومواعظ ودروس تلقى هنا وهناك او برامج تبث عبر اجهزة الاعلام ولكنها مشاهد حية يراها الصحابة فيتأثروا بها ويرونها فيتأثر السامعون بها .

وهذا يدل على ان انفع اسلوب في التربية هو التربية العملية الميدانية التي تزود المؤمنين بالزاد الضروري لخوض غمار الحياة والتصدي للباطل ونصرة الحق ، فلا يهابون الا الله ولا يخضعون الا لله يأتمرون بامره وينتهون عما نهى عنه .

وقد مدحت الايات الانصار والمهاجرين مدحا مستفيضا لتخلص منهم الى التعريض ببني النضير وانهم لم يتصفوا بشيء من الصفات التي اتصف بها الانصار فاستحقوا ثناء من رب العالمين ، فالمهاجرون اخرجوا من ديارهم نصرة لله ورسوله فتركوا اموالهم وبيوتهم لله والتمسوا فضل الله فاغناهم ورزقهم من حيث لم يحتسبوا (الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) .

أما بنو النضير فاخرجوا من ديارهم بامر الله لانهم تنكروا لرسول الله وغدروا به وكادوا له فاخرجوا اذلة صاغرين وحملوا اموالهم ليعلموا ويعلم الناس جميعا ان المال وسيلة لا غاية وان على الانسان ان لا يجعل المال في قلبه ودمه فيحرص عليه حرصه على روحه وحياته بل يستخدمه في اسعاد نفسه واسعاد الاخرين . اما ان اعتبره غاية وخضع له بقلبه وجوارحه واثره على نفسه فانه حينئذ ينزل الى ادنى مستوى بعد ان رفعه الله بالعقل والايمان وكرمه .

وفي خروج بني النضير عبرة للعقلاء بأن لا يقعوا فيما وقعوا فيه من التجبر والتجلد واظهار ما لا يبطنون وان لا يأمنوا مكر الله فيتصرفوا على اساس انهم عبيد لله ، ينفذون اوامره ويحكمون شريعته .

اما الانصار فقد كانوا امة متماسكة تحب بعضها البعض وتحسب من جاورها من غيرها ، فاستقبلوا المهاجرين احسن استقبال واكرموهم غاية الاكرام ، ومدوا لهم يد العون بحب واحترام كأحسن ما يكون ، وقد تحدثت الاية عن ذلك كله بأوجز عبارة فقال عز وجل : (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

اما بنو النضير فانهم لا يتصفون بشيء من هذه الصفات الجميلة بل يتصفون بنقيضها بدليل ما مضى : (يخربون بيوتهم بأيديهم) وهل دفعهم الى ذلك الا الحسد والاثرة وحب الذات وكراهة ان يشاركهم بها غيرهم .

وقد وصفهم بعد ذلك بانهم متفرقون قلوبهم متنافرة وان ظهروا لنا مجتمعين (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون) .

والعقلاء هم الذين يبحثون عن الحقائق قبل المظاهر ، وعاقبة الامر قبل الشروع فيه ، والنتيجة قبل المقدمة ليكون عملهم على بصيرة وهدى .

أما غير العقلاء فيتصرفون على هواهم بلا هدف ولا غاية ، ولقد ميز الله الانسان بالعقل فجعله اهلا للتكليف فاذا ما تخلى الانسان عن عقله صار كالحيوان بل اضل سبيلا .

واذا تتبعنا سير المعركة علمنا انه لم يقع بين المسلمين وبين بني النضير قتال بل حاصرهم المسلمون وكان هذا الحصار كافيا في ارهابهم واستسلامهم وخضوعهم لحكم الله ورسوله بعد ان يئسوا من الانتصار ولم ينفعهم ما أرسله اليهم المنافقون والمشركون من مقولات لانهم لا يثقون ببعضهم البعض ولا يؤمنون ببعضهم البعض ، بل يخافون من بعضهم البعض وبهذا ذلوا وخسروا .

وقد وعظ الله اليهود عظة بليغة تفتت القلوب وتذيبها لو عقلتها وربأهم تربية عملية فذكرهم بما كان من بني قينقاع وما فعل بهم ، كي ينتهوا عما هم فيه من باطل ويمتنعوا عما كانوا يقومون به من كيد لرسول الله وللمؤمنين ولكن كيف تفهم القلوب التي لا تعقل وكيف تسمع الاذان الصم وتبصر الاعين العمى فهؤلاء قد اعمى الحسد أبصارهم وبصائرهم وأصم آذانهم فلم يسمعوا او يروا الحق ويتعظوا به فهلكوا : (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب أليم) .

وتؤكد الايات على جبن اليهود وخوفهم من المهاجمة ، وتبين انهم لا يقاتلون مواجهة ، بل من وراء حجاب أو في قرى محصنة .

(لا يقاتلوكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر) .

وتختتم الحديث عنهم بضرب المثل تلو المثل تبين حالهم وما هم عليه من ضلال (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال : اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين) . هكذا اليهود يزينون للناس الخروج على دين الحق ومحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤلبون الجموع في ذلك فاذا عزم الامر تنكروا لمن دعوهم وحضوهم على الباطل وتركوهم فلم ينصروهم .

وهنا تتفق صفات اليهود مع صفات المنافقين التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان) وفي رواية : (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا عاهد غدر واذا خاصم فجر واذا اؤتمن خان واذا حدث كذب) (١) .

وقد اتصف اليهود بذلك اتم اتصاف ، فحين كانوا يتحدثون يظهرون ما لا يبطنون ويكذبون فيما يقولون ، واذا وعدوا أخلفوا الموعد .

---

(١) سبق تخريج الحديث وهو في صحيح البخاري ومسلم .

فقد وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يساعدوه في دية العامريين وهموا بقتله وعاهدوه وغدروا ، وخاصموه ففجروا .

وهنا قد يظن الانسان ان اليهود والمنافقين والكافرين مجتمعون متآلفون يحب بعضهم البعض وينصر بعضهم البعض فما الحق في ذلك ؟

يقول عز وجل : (تحسبهم جميعا) أى مجتمعين (وقلوبهم شتى) أى متفرقة .

قال الشهيد سيد قطب :

والمظاهر قد تخدع فنرى تناصر الذين كفروا من اهل الكتاب فيما بينهم ونرى عصبيتهم بعضهم لبعض . كما نرى تجمع المنافقين احيانا في معسكر واحد ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم انما هو مظهر خارجي خادع وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخداع . فيبدو من ورائه صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور ، وينكشف الحال عن نزاع داخل المعسكر الواحد ، وما صدق المؤمنون وثبتوا الا وشهدوا مظهر التماسك بين اهل الباطل يتفسخ وينهار ، وينكشف عن الخلاف الحاد والشقاق والكيد والدس في القلوب - الشتيتة المفرقة (١) اهـ .

---

(١) ظلال القران جـ ٢٨ / ٤٤ .

اثر التربيـة في حياة الانسـان :

ان المتتبع لايات سـورة الحشـر وهي تتحدث عن التابعيـن تبيـن فضلهم تقدم لنا عبرة لاولى الالباب ، ذلك انها حين ذكرت التابعيـن لتمدحهم بحسن الاقتداء والتأدب بآداب السـلف ، قالت : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنـا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم) فهؤلاء قد نسبوا الفضل لأهلـه وذكروا المحسن فأثنوا عليه بخيـر ودعوا له بحسن الجزاء اعترافا بانه هو الذى سـن طريق الخير وبينه وعلمهم فرباهم على التزام المنهج القويم والسير على وفق هدى الله وما كانوا ليعرفوا ذلك لولا تربية السـلف لهم .

واذا رجعنا الى الوراء لنرى سـلوك اليهود في غابر الدهـر مع انبيائهم ومع صالحيهم كيف كانوا يعاملونهم ، وهل كانـت معاملاتهم تسير على منهج قويم ام هي اخطاء في اخطاء وجرائم تتبعها جرائم .

فلليهـود مع يوسـف قصة طويلـة منذ نعومة أظفـاره الى ان صار نبيـا يوحى اليه تبيـن بوضـوح اخـلاقهم وما فيهـا من لؤم وغدر وخيانة .

انظر اليهم كيف حسدوا أخاهم الصغير :

(اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين ، اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) - يوسف ٨-٩ - ولم يكتفوا بذلك بل اتبعوا القول العمل فاخذوه من بيت ابيه وشردوه ليتخلصوا منه .

فلما اظهره الله عليهم فاكرمه ، وفدوا عليه فاحسن وفادتهم واكرمهم غاية الاكرام ، واراد ان يختبرهم ليرى هل عادوا الى سلوك المنهج القويم ام لا زالوا على خلقهم اللئيم ؟

لقد اتهموه بالغدر والخيانة عيانا فقالوا فيما قصه الله على لسانهم: (قالوا ان يسرق فقد سرق له أخ من قبل) فأجابهم جواب الواثق بنفسه : (قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون) - يوسف ٧٧ - .

وتنتهى القصة باظهار الحق وبيان انهم كانوا خاطئين فهل التزموا المنهج القويم بعد ذلك وهل اتبعوا الانبياء وما جاءوا به ؟ .

اذا رجعنا الى قصة موسى مع بنى اسرائيل تبين لنا بوضوح انهم لا زالوا على خلقهم ، ألم تر انهم اكرمهم الله فنجاهم من فرعون وقومه فلما خرجوا من البحر لم يحمدوا الله ويشكروه ويؤدوا ما افترضه عليهم بل قالوا (يا موسى اجعل لنا الاها كما لهم آلهة) ـ الاعراف ١٣٨ ـ .

ولما اكرمهم الله بالمن والسلوى (قالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) ـ البقرة ٦١ ـ فوعظهم فلم يتعظوا ونهاهم فلم ينتهوا وأدبهم فقال :

(أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) ـ البقرة ٦١ ـ .

وكذلك فعلهم مع انبيائهم يقابلون الاحسان بالاساءة والنعمة بالكفر والاكرام بالاعتداء .

وهكذا سار الخلف على نهج السلف يقتدون بهم فيتبعون طريقتهم ، وانظر ان شئت الى افعالهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الم يعاهدوه فيغدروا ويعدوه فلا يفون ويكرمهم الله بالاسلام فيستبدلونه بالذى هو أدنى ؟

وبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم استمروا على ما هم فيه من خزى وضلال يكيدون للاسلام تارة بالدخول فيه لتخريبه وافساده كما فعل بولس بالنصرانية (شاول) وكما فعل عبدالله بن سبأ وغيره ممن أظهر الاسلام ليفسد الاسلام ويحرفه ويغيره .

وها هم اليوم يسيرون على نفس الطريق ويتبعون نفس المنهج فتارة يثيرون الشبه واخرى يثيرون الخلافات وثالثة يظهرون الاحقاد ويشجعون على مقاتلة المسلمين بعضهم مع بعض ، واذا اسيء الى يهودى في اقصى الارض اقيمت واقعدت بشعارات براقة رنانة : الحرية الانسانية واذا ما قتل اليهودى الآف الناس ، قالوا انما قتلوهم حماية لليهود لانهم من المخيرين هكذا ، ان كان لهم أظهروه بمظهر وان كان عليهم قلبوا الموازين .

وصفوة القول :

ان في قصة بنى النضير عبرة للمسلمين ليحذروا غدر اليهود وخيانتهم فلا يثقوا بهم او يأتمنوهم على شيء بل يعاملوهم بحذر ويأخذوا جميع الاحتياطات الضرورية لحماية الجماعة الاسلامية

من غدرهـــم ، فيعاملوهم على انهم غدارون فيحتاطون لذلك فلا ينخدعوا بهم كما انخدع سائر الأمم ، فآووهم حين كانوا مشردين ونصروهم حين كانوا مستضعفين ، وأغنوهم حين كانوا فقراء فلما تمنكنوا في الارض غدروا بهم ، واعتدوا عليهم فاستولوا على مقدراتهم وخيراتهم .

الشبه الواضح بين اليهود والمنافقين :

وفي نهاية المطاف نقف مع الايات التي تحدثت عن المنافقين لنتبين بها قوة الشبه بين اليهود والمنافقين .

فالاية حين تحدثت عن صفات المنافقين اجملتها بصفات تشبه الى حد كبير صفات اليهود قال تعالى :

(ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون) . فهؤلاء عاهدوا وغدروا وقد موا المواثيق ولم ينفذوا منها شيئا سواء بسواء كما فعل بنو النضير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد تعاهدوا معه الا انهم لم ينفذوا شيئا من بنود المعاهدة ووعدوه بالمساعدة وبيتوا له الغدر فاراد وا الفتك به ثم ان المنافقين مالأوا الكفار وحرضوهم على حرب المسلمين ، وكذلك فعل اليهود والمنافقون اغتروا بقوتهم ، وجعلوا من انفسهم انصارا للباطل ، وكذلك فعل بنو النضير .

وبعـــد :

فان الايات الواردة في سورة الحشر تبين لنا بنى النضير على حقيقتهم بصورة تقشعر منها الابدان وتنفر منها الطباع السليمة، وهي اذ تقدم هذه الصورة لتحذر المؤمنين من التشبه بهم وتنفرهم عن اتباع منهجهم وبالتالي تحضهم على سلوك الخير ، واتباع المنهج القويم الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا المنهج الذى يحقق لهم النصر والفوز في الدنيا والاخرة وصدق الله حيث قال : (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) ـ المؤمن ٥١ ـ .

منهج القرآن الكريم في تعليم المؤمنين وتربيتهم في مواجهة مشاكل المجتمع:

ان القران الكريم لم يسلك في تعليم المؤمنين وتربيتهم اسلوب المحاضرات والمناظرات او اسلوب الخطب والكلمات التي تذهب ادراج الرياح ولكنه سلك طريقة عملية واضحة المعالم سهلة الاتباع - يراها كل ذي بصر - فهو حين يلقي الدرس النظري يتبعه ببيان عملي ، فحين تحدث عن بني النضير فبين قوتهم واغترارهم بهذه القوة التي لا تغني عنهم من الله شيئا ، اتبع ذلك بدرس عملي ميداني راى فيه المسلمون بني النضير الاقوياء اذلة يحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلا يستطيعون مقاتلته او الدفاع عن انفسهم بل ينزلون على حكمه فيخرجون من المدينة صاغرين .

وحين تحدث عن اليهود والمشركين وبين ان اجتماعهم اجتماع ظاهر اما القلوب فمتنافرة مختلفة ، اتبع ذلك ببيان واقعي في الحياة العامة حين خذل اليهود والمنافقون بني النضير فلم يعينوهم ولم يقفوا بجانبهم فلو انهم كانوا كما يبدوا للناظر غير المتبصر - لحالفوهم ونصروهم ووقفوا الى جانبهم يدا واحدة وقلبا واحدا .

وحين تكلم عن المنافقين فبين انهم يعدون ولا يفون اتبع ذلك ببيان عملي في غزوة بني النضير ، رآه المؤمنون رأى العين فايقنوا صدق المبلغ .

وتحدث عن الشيطان فضرب له المثل تلو المثل من واقع الحياة ليشبه المعقول بالمحسوس فيتضح البيان وتكمل الصورة وترسخ المعلومات

في نفوس المخاطبين فلا يغتروا بكيدهم او يسمعوا بوسوسته ، او يلتفتوا الى اباطيله ، بل يكونوا دائما على حذر منه .

وبعد هذا البيان الشافي الوافي ، وعظ المؤمنين فحضهم على تقوى الله ، والاستعداد للحشر الاكبر بعد ان أراهم ما فعل بمن كانوا يظنون انهم اقوياء بين ان القرآن ملىء بالعبر والعظات التي لو عقلها الجبل لخشع واضمحل دكا ، فما بال العقلاء لا يخشعون لله المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص .

وانتهى البيان بسرد بعض اسماء الله الحسنى وصفاته العلى التي توجب له الكمال المطلق ، وتجعله اهلا لان ينزهه جميع من في السموات والارض من مخلوقات الله بلسان الحال والمقال لانه الغالب فلا يقهر والحكيم الذى يضع الامور في مواضعها .

ومهما يكن من شيء فان سورة الحشر لمن تدبرها وعقل معانيها منهج تربوى عملي ميداني يرشد المؤمن ويبين له الطريق التي يجب عليه ان يسلكها ويسير فيها مع نفسه او مع المؤمنين او مع الكافرين ليحقق الفوز والفلاح في الدنيا والاخرة .

الخاتمة

نسأل الله حسنها

بعد ان طوفنا في هذا البحث بين ايات سورة الحشر وما فيها من العبر والعظات وسع بني النضير وما قاموا به من الاعمال السيئة •

ثم تأملنا بني النضير من خلال السورة الكريمة ظهرت لنا النتائج التالية :

(١)ـ ان قدرة الله لا حدود لها فهو قادر على ما يشاء ولاجل هذا يسبحه وينزهه جميع المخلوقات في السموات والارض •

(٢)ـ ان وعد الله لاوليائه ورسله بالنصر لا يتخلف •

(٣)ـ في هذه السورة دليل وبرهان على صدق وعد الله •

(٤)ـ ان الله ادب المؤمنين وربا هم تربية عملية ميدانية تقوم على المشاهدات الحسية •

(٥)ـ ان عداوة اليهود للاسلام قديمة متاصلة منذ كان الاسلام •

(٦)ـ حين اشارت السورة الى اول الحشر دلت على ان هناك حشرا اخر فاذا عاقب الكافرين في الحشر الاول فانه سيدخلهم النار في الحشر الاعظم •

(٧) ـ اذا اراد الله نصرة قوم هيأ لهم الاسباب : اما بقذف الرعب كما في بني النضير (وقذف في قلوبهم الرعب) او بارسال الجنود والريح كما في غزوة الخندق (وارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) ـ الاحزاب ٩ ـ .

(٨) ـ اذا اصيب الانسان بالرعب لا يدرى ما يفعل ، وكيف يتصرف لان الخوف يسيطر على شعوره واحساسه وقد بلغ الحقد باليهود على المسلمين الى حد انهم لا يريدون لهم ان ينتفعوا بشيء من اموالهم وبيوتهم فقد حملوا ما يمكن حمله وخربوا الباقي حسدا (يخربون بيوتهم بايديهم) .

(٩) ـ ان المال الذى هو عصب الحياة لا ينبغي ولا يجوز ان يكون هو المسيطر على الامور يتحكم في الناس ويسيرون تبعا له .

(١٠) ـ في اذلال بنى النضير وخذلهم عبرة وعظة لكل من تنكر لاوامر الله وحاد عن طريق الحق وسلك سبيلا غير سبيل المؤمنين .

(١١) ـ ان اجلاء بنى النضير لا يعفيهم من عذاب النار بسبب كفرهم وتكذيبهم ومشاقتهم لله ورسوله .

(١٢) ـ ان كل من يشاق الله ورسوله فيختار طريقا غير الطريق التي رسمها الله وبينها في كتابه وسنة نبيه يستحق الوعيد الذى دل عليه قوله : (فان الله شديد العقاب) .

(١٣) ـ يجوز للمسلمين اتلاف بعض اموال الكفار اذلالا لهم وقهرا ليتبين المسلمون عجز الكفار وعدم قدرتهم على حماية اموالهم والدليل عليه قطع نخلات من اموال بنى النضير .

(١٤) ـ لا خلاف بين المسلمين انه يجوز قطع الاشجار اذا كان الاعداء يستترون بها او كانت في طريقهم بتوسيعه .

ولا خلاف انه لا يجوز قطع الاشجار اذا كان في بقائها مصلحة للمسلمين اما ان لم يكن في قطعها مصلحة او مفسدة فانه يجوز قطعها تاديبا واذلالا للكافرين .

(١٥) ـ ما يحصل عليه المسلمون من اموال الكفار بغير تحمل مشاق الحرب يكون فيئا يتصرف فيه امام المسلمين على وفق المصلحة العامة .

(١٦) ـ حددت الاية مصارف الفيء في خمسة اسهم لله وللرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل .

(١٧) ـ ان الاسلام يحرص على ان لا يكون المال في يد الاغنياء فقط يتصرفون فيه تبعا لمصالحهم واهوائهم بل شرع ما يفتت الثروة ويوزعها على راس كل جيل كما في الفرائض فانها سبيل الى انتقال الثروة وتفتيتها على راس كل جيل .

وكذلك الفيء فان الله حدد مصارفه وبين العلة في ذلك فقال : (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) فدل على ان الحكمة

تقتضى ان يوزع المال بين افراد المجتمع على وفق النظام الذى شرعه الله ليكون المال وسيلة في اسعاد الناس .

(١٨) ـ يجب على كل مسلم الاذعان والخضوع لاوامر الله ورسوله والامتناع عما نهى الله ورسوله عنه وانه ليس للمسلم خيار في ذلك بل يجب عليه التسليم والخضوع .

(١٩) ـ ان سبيل النجاة في الدنيا والاخرة انما تكمن في تقوى الله والخوف من عقابه .

(٢٠) ـ ظهر جليا من خلال ايات السورة فضل المهاجرين والانصار بما اثنى الله عليهم من صدق الايمان والحب في الله والعطاء لله والايثار مع الحاجة فاستحقوا الثناء والدعاء لهم بالخير هذا الدعاء الذى ذكره الله على لسان التابعين تعليما للامة وارشادا .

(٢١) ـ ان المؤمن يجب ان لا يحمل في قلبه غلا لمؤمن .

(٢٢) ـ ان الشبه قوى بين اليهود والمنافقين : فهؤلاء يعدون ولا يفون ويعاهدون ويغدرون ويخاصمون فيفجرون واولئك كذلك .

(٢٣) ـ ان المظاهر قد تخدع ولكن بحسن النظر والتفكر والصبر قليلا ينكشف الزيف فان ما نراه من تماسك واتحاد وتآلف بين اليهود والمشركين والمنافقين انما هو تآلف في الظاهر يبدو لاول وهلة فاذا حققت النظر فيه وصبر المسلمون على البلاء سرعان ما ينكشف الزيف ويبقى الذهب الصافي .

(٢٤) ـ لقد لمس المسلمون هذه الحقيقة واضحة جلية فقد حدثهم الله حديثا صدقته الايام وقدمت له الدليل الواضح الذى لا لبس فيه ولا غموض .

(٢٥) ـ ان المنافقين والكافرين ـ على حد سواء ـ يخافون من المؤمنين وما ذاك الا لان الله ايد رسوله فنصره بالرعب مسيرة شهر ـ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ـ وانما يقع خوف العباد من العباد بسبب ضعف عقلهم والا فكيف يخاف العبد من العبد ولا يخاف من خالقه ومربيه وكيف يطلب النفع من عبد ولا يطلبه من ربه الذى خلقه من العدم .

(٢٦) ـ ان اصدق مثل ينطبق على الكافرين والمنافقين واليهود هو الشيطان الذى يوسوس للانسان ويغريه بالوقوع في المعصية فاذا ما وقع تنكر له وتبرأ منه ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى :

" وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم " ـ ابراهيم ٢٢ ـ

ثم ان عاقبة هذا الانجراف وراء الشيطان واتباع خطواته يوصل الى النار الشيطان والمتبعين له .

(٢٧) ـ ان القران الكريم اذ تحدث عن بني النضير وضرب لهم المثل تلو المثل نفيفر منهم ، ليعظ المسلمين ويحصنهم على الاستعداد ليوم القيامة والتزود له بالأعمال الصالحة ويستعمل في وعظه الكلمات الرقيقة المؤثرة والاسلوب الراقي فلا يهددهم بل يذكرهم بان الله عالم بهواطن الامور (ان الله خبير بما تعملون) .

ويحذرهم من الاعراض عن الله لان فيه اهلاكا لانفسهم وخروجا بها عن طريق الفلاح الى طريق الخسران ، ويستدل لذلك بالتفاوت بين اصحاب النار واصحاب الجنة هذا التفاوت الذى يراه ويقربه المخاطبون وغيرهم .

(٢٨) ـ تحدثت السورة في خاتمتها عن امرين هامين جديرين بالملاحظة والاهتمام اولهما عظمة القران التي لا يدركها الا من تفكر فيه وادرك معانيه ، وقد أدب المؤمنين بقسوة قلوبهم باسلوب رائع : (لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) فما بال الانسان العاقل المدرك لا يخشع ويستسلم ؟ .

وثانيهما بيان صفات الله العليا واسمائه الحسنى التى استحق بها كل صفات الكمال وتنزه بها عن صفات النقص وقد رتبها ترتيبا جميلا بحيث يوضح في كل اسم اورده ما أبهم أو خفي معناه أو بعض معناه بالاسم الذى قبله ، وبينت ذلك مفصلا في ثنايا الرسالة .

(٢٩)- تعتبر غزوة بني النضير مثالا حيا يصور طبيعة اليهود واخلاقهم ودرسا عمليا للمؤمنين يعلمهم كيف يسلكون مع الله لينصرهم .

هذا بعض ما توصلت اليه في هذا البحث .

أسأل الله ان اكون قد وفقت فيه وسلكت فيه المنهج العلمي القويم ، وما وقع فيه من تقصير فان عذري فيه انه اول بحث اكتبه واول تجربة اخوضها على طريق العلم الشرعي الشريف .

وأسأل الله ان يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم وان ينفعني به وينفع المسلمين .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وكان الفراغ من كتابة هذه الرسالة ليلة السبت السابع من رجب سنة ١٣٩٩ هـ تسع وتسعين وثلاثمائة والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل السلام وأزكى التحية .

٥ ٥ ٥

قائمة المصادر والمراجع

أولا ـ المراجع القديمة :

١ ـ القران الكريم ـ المصحف العثماني .

٢ ـ الكتاب المقدس ـ العهد العتيق والعهد الجديد ـ الترجمة العربية طبعة جمعيات الكتاب المقدس ـ بيروت.

٣ ـ الاتقان في علوم القران .

(السيوطي) : جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ من الهجرة مجلدات ـ مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٦٨هـ .

٤ ـ احكام القرآن : الجامع لاحكام القرآن

(القرطبي) : ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، المتوفى سنة ٦٧١ من الهجرة . الناشر مكتبة دار الشعب ـ ثماني مجلدات .

٥ ـ أحكام القرآن :

(ابن العربي) ابوبكر محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٥٤٣ من الهجرة مطبعة الحلبي بالقاهرة اربعة اجزاء ـ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .

٦ ـ أحكام القرآن ::

(الجصاص) : ابوبكر احمد بن علي الرازي الجصاص ، المتوفى سنة ٣٧٠ من الهجرة . ثلاثة اجزاء ـ مطبعة الاوقاف الاسلامية ١٣٣٥هـ .

٧ - ارشاد الساري بشرح صحيح البخاري :

(القسطلاني) : شهاب الدين احمد بن محمد القسطلاني •

عشرة اجزاء - طبع بولاق سنة ١٣٢٧ هـ •

٨ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم •

(ابو السعود) : محمد بن محمد العمادى) المتوفى سنة

٩٥١ من الهجرة • مطبعة السعادة بمصر - أربع مجلدات

٩ - أساس البلاغة :

(الزمخشري) : الامام العلامة جارالله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى

المتوفى سنة ٥٣٨ من الهجرة •

مطبعة دار صادر دار بيروت سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م •

١٠ - اسباب النزول :

(الواحدى) : ابو الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى

المتوفى سنة ٤٦٨ من الهجرة •

مطبعة الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م •

١١ - الأم :

(الشافعي) : محمد بن ادريس ، المتوفى سنة ٢٠٤ من الهجرة

رواية الربيع بن سليمان المرادى - سبعة اجزاء - المطبعة الاميرية

بمصر ١٣٢١ هـ •

١٢ - امالى المرتضى :

(الشريف المرتضى) : على بن الحسين الموسوى العلوى ، المتوفى

سنة ٤٣٦ من الهجرة . مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م الطبعة الثانية - بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - جزءان في مجلدين .

١٣ - الاموال :

(بن سلام) : الامام العظيم الحافظ الحجة : ابو عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى سنة ٢٢٤ من الهجرة ، منشورات دار الفكر بالقاهرة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - جزء واحد - بتحقيق الدكتور محمد خليل هراس .

١٤ - البحر المحيط :

(ابو حيان) : محمد بن يوسف بن حيان الاندلسي ، المتوفى سنة ٧٤٥ من الهجرة ثمانية مجلدات - مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ .

١٥ - البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار .

(المرتضى) : احمد بن يحيى المرتضى المتوفى ٨٤٠ من الهجرة اربعة اجزاء - الطبعة الاولى بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م .

١٦ - البداية والنهاية :

(ابن كثير) اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤ من الهجرة . - اربعة عشر جزءا - الطبعة الاولى ١٣٥١ هـ

١٧ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد :

(ابن رشيد الحفيد) : محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد القرطبي ، المتوفى سنة ٥٩١ من الهجرة -

جزءان في مجلد واحد - مطبعة عيسى الحلبي ١٣٧١ هـ .

١٨ - جامع الترمذى :

(الترمـــذى) : محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .

ومعه شـرح تحفة الأحوذى - اربعة اجزاء - طبع في دهلى ١٣٠٠هـ

١٩ - الجامع الصحيح من سـنن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم واقوالـــه وافعاله وايامه .

(البخارى) : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، المتوفـــى سنة ٢٥٦ من الهجرة - تسعة اجزاء - المطبعة الخيريـــــة الطبعة الاولى ١٣٢٠ هـ .

٢٠ - ديوان امرئ القيس:

امرؤ القيس بن حجر ، المتوفى سـنة ٨٠ قبل الهجرة .

مطبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩ م بتحقيق ابو الفضل ابراهيم .

٢١ - ديوان ذى الرمـة . شـرح الباهلي :

(ذو الرمة) : غيلان بن عقبة العدوى المتوفى سنة ١١٧ مـــن الهجرة - رواية ابى العباس ثعلب .

مطبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م بتحقيق عبـــد القدوس صالح .

٢٢ - ديوان رؤبة بن العجاج :

ضمن مجموع اشعار العرب تصحيح وترتيب وليم بن الورد - برليـــن روط ورنجرد - سـنة ١٩٠٣ م - يشتمل على ديوان رؤبـة بن العجـاج .

٢٣ ـ ديوان الاعشى :

(الاعشى) ميمون بن قيس ٠

المطبعة النموذجية بتحقيق الدكتور محمد حسين ١٩٥١م

٢٤ ـ دلائل النبوة :

(ابو نعيم) احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق المهراني الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ من الهجرة ٠ نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب الطبعة الاولى ١٩٧٠م ١٣٩٠ هـ ٠

٢٥ ـ وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى :

(السمهودى) : نور الدين على بن احمد المصرى السمهودى نزيل دار الهجرة المتوفى سنة ٩١١ من الهجرة ٠

اربعة اجزاء في مجلدين مطبعة دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ٠

٢٦ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد :

(ابن قيم الجوزية) : محمد ابن قيم الجوزية و المتوفى سنة ٧٥١ من الهجرة ـ اربعة اجزاء ـ مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨م ٠

٢٧ ـ حاشية البجيرمي على الخطيب :

تحفة الحبيب على شرح الخطيب المسمى الاقناع في حل الفاظ ابي شجاع

(البجيرمي) سليمان بن محمد بن عمر ٠ المتوفى سنة ١١٢١ من الهجرة ٠

الطبعة الثانية بالقاهرة ١٢٩٤هـ ٠

٢٨ ـ حاشية الشهابي على تفسير البيضاوي
عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ٠
الشهاب الخفاجي
سبعة اجزاء ـ دار صادر دار بيروت ـ ٠

٢٩ ـ طبقات الصحابة والتابعين
(ابن سعد) محمد بن سعيد بن منيع الزهري ، المتوفى
٢٣٠ من الهجرة
اربعة عشر جزءا ـ طبع ليدن ١٣٢٢ هـ ٠

٣٠ ـ الكشاف عن وجوه التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ٠
(الزمخشري) محمود بن عمر الزمخشري ، الخوارزمي ٠
ثلاثة اجزاء ـ مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٨م ٠

٣١ ـ لسان العرب ٠
(ابن منظور) ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور
الافريقي المصري ، المتوفى سنة ٧١١ من الهجرة ٠
الناشر دار صادر دار بيروت ١٩٥٦ م ٠

٣٢ ـ لطائف الاشارات :
(القشيري) : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المتوفى
سنة ٤٦٥ من الهجرة ـ ستة مجلدات مطبعة دار الكاتب العربي
للطباعة والنشر بالقاهرة ٠

٣٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
(الهيثمي) : نور الدين على ابن ابي بكر الهيثمي ، بتحرير الحافظين
العراقي وابن حجر ـ عشرة اجزاء ـ الناشر مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٣هـ

٣٤ـ المحلـى :

(ابن حـزم) محمد علي بن احمد بن حزم ٠

ـ احدى عشر جزءاً ـ مطبعة منير الدمشقي بالقاهرة سـنة ١٣٥٢ هـ ٠

٣٥ـ المسـند :

(ابن حنبـل) : احمد بن حنبل الشـيباني ، المتوفى سـنـة ٢٤١ من الهجرة ٠

القاهرة ـ المطبعة الميمنية ١٣١٣ هـ ٠

٣٦ـ مختار الصحاح :

(الرازى) محمد بن ابي بكر ابن عبد القادر الرازى ، المتوفى سـنة ٦٦٠ من الهجرة ٠

مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠م ٠

٣٧ـ معجم البلدان :

(الحموى) : ياقوت الحموى بن عبد الله ، المتوفى سنة ٦٢٦ من الهجرة ـ عشرة اجزاء في خمس مجـلدات ـ مطبعة دار صـاد دار بيروت ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م ٠

٣٨ـ معجم مقاييس اللغة :

لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سـنة ١٣٩٥ من الهجرة ـ سـتة اجزاء ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية ٠

٣٩ـ مغنى المحتاج الى شـرح المنهاج :

(الشربيني : محمد الشربيني الخطيب ، المتوفى سـنة ٩٧٧ من الهجرة اربعة اجزاء ـ مطبعة الحلبي ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م ٠

٤٠ ـ المغني على مختصر الخرقي :

(ابن قدامة) : موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي .

تسعة اجزاء ـ مطبعة دار المنار بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٣٦٧هـ

٤١ ـ المفردات في غريب القرآن :

(الاصبهاني) : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني المتوفى سنة ٥٠٢ من الهجرة ـ جزء واحد في مجلدين ـ مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٨١ هـ الطبعة الاخيرة .

٤٢ ـ نيل الاوطار في شرح منتقى الاخبار :

(الشوكاني) : محمد بن على ابن محمد الشوكاني .

ـ ثمانية اجزاء ـ المطبعة العثمانية المصرية بالقاهرة ١٩٥٧م .

٤٣ ـ نظم الدرر في تناسب الاى والسور :

(البقاعي) : ابراهيم بن عمر ابن حسن المتوفى سنة ٨٨٥ من الهجرة ـ شرائح مصورة (ميكروفيلم) موجود في مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بمكة .

٤٤ ـ سنن ابن ماجة :

(ابن ماجة) : محمد بن يزيد بن ماجة القزويني المتوفي سنة ٢٧٣ من الهجرة . ـ جزءان ـ وبهامشه حاشية السندى ـ المطبعة العلمية بمصر الطبعة الاولى ١٣١٣ هـ .

٤٥ ـ السنن او " سنن ابي داود "

(ابو داود) سليمان بن الاشعث السجستاني .

مطبعة السعادة الطبعة الثانية اربعة اجزاء ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م

٤٦ ـ (السنن الكبرى)

(البيهقي) احمد بن الحسين البيهقي ، المتوفى سنة ٤٥٨ من الهجرة ـ ادارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ .

٤٧ ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

(ابن هشام) : ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميرى المتوفى سنة ٢١٨ من الهجرة .

ـ اربعة اجزاء ـ الناشر مكتبة الجمهورية .

٤٨ ـ عمدة القارئ شرح صحيح البخارى

(العيني) : بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد العيني ـ المتوفى سنة ٨٥٥ من الهجرة .

ادارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ .

٤٩ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى .

(ابن حجر) احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني .

ـ ثلاثة عشر جزءا ـ المطبعة البهية المصرية ـ ١٣٥٢ هـ .

٥٠ ـ فتح البيان في تفسير القران :

(الطبرسى) : الفضل بن الحسن بن الفضل المتوفى سنة ٥٤٨ من الهجرة ـ عشرة اجزاء ـ طبع طهران ١٣٧٣ هـ .

٥١ - فتح القدير شرح الهداية للمرغيناني
(ابن الهمام) الكمال ابن الهمام ، المتوفى سنة ٨٦١ من الهجرة
- ثمانية اجزاء - مطبعة الحلبي بالقاهرة .

٥٢ - صحيح مسلم :
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ من الهجرة جزءان - مطبعة بولاق ١٢٩٠هـ

٥٣ - القوانين الفقهية :
(ابن جزى) محمد بن احمد بن محمد ابن عبد الله بن جزى الكلبي المتوفي سنة ٧٤١ من الهجرة .
دار العلم للملايين ١٩٧٤م

٥٤ - روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني .
(الالوسى) محمود الآلوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠ من الهجرة - ثلاثون جزءا - ادارة الطباعة الخيرية ١٢٦٧ هـ .

٥٥ - شرح النووى على مسلم .
(النووى) ابو زكريا يحيى بن شرف النووى ، المتوفى سنة ٦٧٦ من الهجرة - ثمانية عشر جزءا - مطبعة محمود توفيق بالقاهرة .

٥٦ - تاج العروس من جواهر القاموس .
(الفيروز ابادى) محمد مرتضى الزبيدى . المطبعة الخيرية - الطبعة الاولى سنة ١٣٠٦ هـ .

٥٧ ـ تاريخ الرسل والملوك :

(الطبرى) ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ من الهجرة ـ ثلاثة عشر جزءا ـ المطبعة الحسينية المصرية ـ الطبعة الاولى ١٣٢٦ هـ .

٥٨ ـ تفسير اسماء الله الحسنى :

(الزجاج) : ابو اسحاق ابراهيم بن الرى الزجاج المتوفى سنة ٣١١ من الهجرة مطبعة محمد هاشم الكتبي سنة ١٣٩٥ هـ .

٥٩ ـ تفسير الحافظ ابن كثير :

(ابن كثير) : عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤ من الهجرة ـ تسعة اجزاء ـ مطبعة المنار ـ الطبعة الاولى سنة ١٣٤٦ هـ .

٦٠ ـ التفسير الكبير او " مفاتيح الغيب "

(الرازى) : محمد الرازى فخر الدين المتوفى سنة ٦٠٦ من الهجرة ـ ثلاثون جزءا ـ مطبعة البهية المصرية ـ الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ

٦١ ـ غريب القرآن :

(ابن قتيبة) ابو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ من الهجرة .

مطبعة عيسى الحلبي ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م .

ثانيا ـ المراجـــع الحديثـــــة :ـ

٦٢ ـ اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن :

(الشـــنقيطي) العلامة محمد الامين بن محمد المختار الحلبي الشنقيطي

ـ تسعة اجزاء ـ والجزءان الثامن والتاسع من تتمة تلميذه الشيـــخ

عطية محمد سالم قاضى المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة .

٦٣ ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاســلام :

(ولفنســون) : اسرائيل

مطبعة الاعتماد بالقاهرة ـ ١٩٢٧ م .

٦٤ ـ في ظلال القرآن :

للشـــهيد سيد قطب ابراهيم .

الطبعة الخامســة ـ ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م

ـ ثلاثون جزءا في ثماني مجلدات .

٦٥ ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشـــدة .

حميد الله : محمد

الطبعة الثالثة ـ دار الارشاد ـ بيروت ١٩٦٩ م .